

تغريفة أهل الشام

أيمن أبو الشعر

تغريبة أهل الشام

شعر

تغريبة أهل الشام

الناشر: دار جهات للنشر والطباعة والتوزيع

الطبعة الأولى – 2022

طُبِعَ من هذا الكتاب 1000 نسخة

تصميم الغلاف: طلال أبو الشعر

الحقوق كافة محفوظة للمؤلف

لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب في أي شكلٍ من الأشكال أو بأي وسيلة من الوسائل – سواء التصويرية أو الإلكترونية أو الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات أو استرجاعها - من دون الحصول على إذن خطي مسبق من المؤلف أو الناشر.

الإخراج الفني: دار جهات للنشر والطباعة والتوزيع

ريف دمشق – جرمانا – ساحة السيوف – بناء قسّام والأحمدية

موبايل: 988840717 أو 944780204 - 00963

jihathouse@gmail.com Emails:

jahmadie59@hotmail.com

أرجو أنْ تقرأني بهدوءٍ
في هذا الزمنِ الصَّاحِبِ
أَيْمَن

مقدمة: بقلم الأديب د. حسن حميد.

أيمن أبو شعر

وحضارة النص

-1-

أعترف، أني، ومنذ وقت بعيد في شوقه وتطلعه،
 وددتُ الكتابة عن أيمن أبو شعر، ومدونته الأدبية،
 ولأسيماً مدونته السردية التي تنامي حضورها حين
 مضى إلى عالم السرد قبل سنوات، فبدا لي عارفاً
 بطقوسه ودروبه ومراميه، ومهتدياً إلى منابع ضوئه،
 وممسكاً بأسراره العواصي، ولكنه قبل هذا، هو شاعر
 ذو قامة عالية، جدير بالتقرب من مدونته الشعرية
 التي بناها بآناة ومساهرة، وطول نفس وحذق، وهو
 في ريق العمر. وقد عرفتُ من أصدقائه المقربين منه
 وإليه، أنه أشبه بالعنكبوت التي تنسج في عتَمات
 الليالي خيوط الضوء الراهجة، فيبيدي قصيده البهَّار

أمام أصدقائه قراءةً، ثم يستدير نحو نفسه، وبجراحة العارف الذي عشق المضايقة، يمحو ويضيف! لقد تعود أن يكتب القصيدة ويدور حولها ليلة إثر ليلة دورة الفراش حول القناديل حتى يصير الدوران هو البهرة، وحتى يصير النور هو الشعر، وحتى تصير الأسطر سرّاً من أسرار التخلّق الوافي الضافي، والدهشة الماكثة، فلا يتوقّف إلا عند انتباهة القلب الراشدة إلى أنّ المعنى تمّ واستوى!

-2-

منذ بداية ظهور أيمن أبو شعر، في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن العشرين الفارط، تخلّقت أسئلة كثيرة متعدّدة، حوّمت حوله مثل الطيور التي تحوّم حول الغدران وفوقها، ليعرف أصحابها من هو؟!!

ولماذا يُهرع إليه محبو الشعر والثقافة والمعرفة،
 وطلاب الدهشة والمتعة، والعارفون بطعوم الشعر
 ومذاقاته النادرة، ليسمعوا قصيده! ولماذا يتبعه
 بعضهم حين يذهب إلى الأمكنة البعيدة عن مدينة
 دمشق، وما السرّ الكامن في أمر كهذا؟ أهو الشعر، أم
 المحبة، أم الجاذبية، أم هي الموضوعات التي
 يتخيّرُها أبو الشعر، أم هي البناءات التي اعتمدها
 فضاء لشكل القصيدة؟! في زمن لم يخل من الأسماء
 الشعرية النادرة في صوغ الجمال وبناء عوالم الدهشة
 لمؤرقات وشؤون وأحلام صارت هي حياة الناس!

والحقّ، إنّه ليس بمكنة أحد من النقاد، والقراء،
 والمحبين الذين كانوا حول أيمن أبو شعر، أعني الذين
 عرفوه، والذين جاؤوا بعدهم وعبر مدد زمنية قصيرة
 وطويلة، أن يقول أحدهم، وبثقة، هذا هو السبب
 الوحيد الذي خصّ تجربة أيمن أبو شعر الإبداعية،

فشال بها، وجعلها متابعَةً ومقروءَةً ومنتشرةً وذائعةً الصيت، ولها مكانتها الظليلة، ذلك لأنّ أيمن أبو شعر، غدا وهو في مستهل العمر، ظاهرةٌ أدبيةٌ حقاً! ظاهرةٌ أدبيةٌ لا تقوم بمكنة عمود واحد، أو سبب جوهري واحد، أو علة إبداعية واحدة، مثل الموهبة، أو الثقافة، أو الحنق!

قد يكون في هذا التوصيف مبالغة ما، ولكن بماذا يفسّر الحضور الجماهيري الكبير والحاشد الذي عرفته أمسيات أيمن أبو شعر، وهو حضور جيلي، فيه الرجال والنساء، ومن مختلف الأعمار والطبقات الاجتماعية، الحضور الذي ينافس الحضور الجماهيري لمهرجانات المسرح والسينما والشعر العربي، الجواب هو في توصيفنا الذي قلناه، إنّ أيمن أبو شعر ظاهرةٌ أدبية، أو قل ظاهرةٌ شعرية شأنها في ذلك شأن شعراء عرب أمثال: مظفر النواب، ونزار

قَبّاني، ومحمود درويش، ومحمد الحريري، وأمل دنقل، وأحمد فؤاد نجم.

-3-

هنا وفي أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن العشرين المنصرم، كان شاعران فلسطينيان كبيران يعيشان في دمشق، هما راشد حسين، ومعين بسيسو، ولهما حظوة شعرية بارزة، ومكانة إبداعية نايفة، وقد حَفَّت بهما الأخبار، وكلاهما قرأ الشعر في أمسيات دمشقية، لكنهما لم يحظيا بجمهور حاشد متنوّع مثلما حظي به أيمن أبو شعر، وهنا أيضاً، وفي هذا الزمن بالضبط، وفي سورية، كان شعراء أصحاب حضور شعري مهمّ، ومكانة إبداعية رفيعة، وفعالية جليلة في وسائل الإعلام، وهم ينتمون إلى تيارات ثقافية وسياسية متعدّدة، وكانوا كثرة، لكنّ أيّاً منهم لم يحظ بما حظي به أيمن أبو شعر من حفاوة

الجماهير وبهجة احتشادها حوله في دوائر صغيرة وكبيرة، بعد أن تمتلئ كراسي القاعة بشاغليها، حتى ليظن الناظر إلى المشهد أنّ هؤلاء الخلق الذين انتظموا في دوائرهم حوله، وتدافعوا على مقربة منه وتزاحموا، ليسوا سوى حالة ثقافية جديدة بدراسة لائقة!

بلى، كانت الأمسية الشعرية الأولى التي حضرتها لـ أيمن أبو شعر، في المركز الثقافي السوفييتي بدمشق، حالاً للفرجة الممتلئة بالدهشة الرَّابعة، فالقول داهش، والنبر داهش، والمعنى داهش، والتقنية داهشة.. والصمت داهش أيضاً، وقد ظلت تلك الدهشة مرافقة لي. وأنا، في خلوتي، أقرأ قصيد أيمن أبو شعر الذي استمعت إليه!

-4-

ولعل أبرز القصائد التي كتبها أيمن أبو شعر هي تلك القصائد التي واكبت الأحداث والحادثات الفلسطينية، وهي كثيرة، وقسم منها يدرّس اليوم في المناهج المدرسية الفلسطينية، لأنها تلبّث بقلبها وعقلها عند التاريخ والجغرافية الفلسطينيين اللذين كانا ضفتين لنهر الحزن الفلسطيني بدءاً من عام النكبة 1948، وإلى ما آلت إليه الأحوال الفلسطينية في الأردن ولبنان وفلسطين بعد النكبة، بل يكاد قصيد أيمن أبو شعر المشدود إلى الحال الفلسطينية والمعبر عنها، يكون سجلاً للمجازر، وساحات الدم، ومساءات الحزن، وعبوس المقابر، وبطولات الشهداء، وشوارع الضفة وقطاع غزة وقد تزينت بجيل الانتفاضتين الأولى والثانية، ولا سلاح بين أيديهم سوى الحجارة، لا بل يكاد قصيد أيمن أبو شعر،

يكون سجلاً لذلك الضوء الفلسطيني الجهير الآتي من داخل الزنازين والعنابر والمعتقلات الإسرائيلية، وهذا ما حدا ببعض النقاد وواضعي الموسوعات الشعرية أن يكتبوا، وبثقة، إلى جوار اسم أيمن أبو شعر، صفة: شاعر فلسطيني، ولهذا ذهبت قصائده التي كتبها في أعقاب نكسة عام 1967، والقصائد التي بشرت بالفجر العربي الجديد المولّد بهمم الفدائيين وزمنهم الجديد إلى مدونات أنطولوجيا المقاومة، بوصف أيمن أبو شعر أحد شعراء المقاومة، ولعل البداية كانت مع قصيدته التي كتبها حول استشهاد القائد المصري/عبد المنعم رياض/.-5-

جماهيرية أيمن أبو شعر لم تكن جماهيرية بسبب قوله الشعري، ولا بسبب المعاني التي أرادها مركباً يتقدم به نحو الناس، وإنما كانت بسبب روح الحضارة الرابضة في نصوصه أياً كانت موضوعاتها، وهذا

بالضبط ما جعل النقاد يذهبون إلى نصوصه ليروا ما إن كانت جديرة بهذه الجماهيرية التي لا تعرفها عادة إلا المهرجانات الكبيرة، أو التظاهرات الشعبية.

روح الحضارة في نصّ أيمن أبو شعر الشعري لا تعني سوى الغنى، فالحضارة كلمة ذات حوامل كثيرة، ولكنها جميعاً تعني الغنى. والغنى الشعري في قصيد أيمن أبو شعر جلي وجهير، ليس لأنه قصيد مضى ليكون مادة بحث للدراسات الجامعية العليا /الماجستير والدكتوراه/ في الأدب العربي، ولا لأنه شعر جماهيري يحفظه الناس، ولا لقدرته الكبيرة في التأثير، أبداً، وإنما لأنه قصيد لا يحيد أو يغيب لوفرة غناه إن أردنا معرفة تاريخ البلاد العربية خلال عقود أربعة تقريباً، وهذه العقود الأخيرة من القرن العشرين الماضي تكاد تكون طيها أحلام دولة الاستقلال العربية، لأنها هي لبابة المرتجى العربي، مثلما هي

حال النشور العربي الذي تعلّق بالطموح من مدرسة
 واعدة إلى إبداع واعد، إلى حداثة مأمولة.

-6-

وبعد، أشعر بالغبطة والمسرة الغامرتين، لأنني
 حققت رغبتني القديمة، في أن أكتب أسطراً وجيزة عن
 قصيد أيمن أبو شعر الذي نادد ونافس بعافية الشعر
 وجمالياته أهم مدونات الشعر العربي الحديث لغناه
 بالصدق والرزانة والحزق، ولعلوه الإبداعي، وسعته
 الجليلة الرّحية.

تغريبة أهل الشام¹

النشيد الأول

"في الحدث"

حين انطلقت من شاطئ فيروز² وزبرجد³

تغريبة أهل الشام الكبرى

نحو المجهول الأدرد⁴

كانت روعي ذاك البحار المجهد

وعلى درجات المركب كنت على جرحي أصعد

الحلم سفينة رحلتهم

كانت كنداءٍ ذاكرتي

1- في العنوان الشام هنا بمعناها الأشمل أي سورية

2- الفيروز حجر كريم يبعد الشر ويرد العين الحاسدة حسب الموروث الشعبي

3- زبرجد: حجر كريم يرمز للأمل وكان البحارة يحملونه معهم لينجيه من المخاطر

4- الأدرد الذي سقطت أسنانه وهو هنا كناية عن أن المجهول لا يحتاج إلى أسنان كي

يطحن أحلام المهاجرين

والرؤيا كانت أشْرَعْتِي
 أتخبَّطُ فوقَ المركبِ
 نحوَ المقودِ باللمس ...
 أستجمعُ محموماً بأسي
 لم يكسرَ بَعْدُ الصاري
 والرعد صدئٌ لصدى همسي
 أتبينُ سمتَ الإبحارِ
 الظلمةُ شدقٌ مفترسٌ
 والموجُ كأنيابِ اليأسِ
 وأنا أتمسكُ كالمهوفِ بحبلِ نهاري
 الريحُ تصارعُ أشْرَعْتِي
 تَنَمَّرِي بي كي تعصفَ عكسي
 دوارٌ أو هامٌ تنرى
 تتماوجُ كالجسدِ العاري
 كنتُ المتفائلَ مثلَ العاشقِ
 كانتُ أغنيَّتي شمسي
 واليومَ يُغادرُني أمسي

لا ألمحُ أفقاً لِعَدِي
 وأيادٍ تدنو... مُنقِذتي أم قاتِلتِي؟
 الطعنةُ غارتُ في كيدي
 عبَرتُ كالومضةِ خاصِرتِي
 لكنِّي ألمحُ سكيناً
 ما زالتُ تقطُرُ وسطَ يدي
 من أجبرني أن أرحلَ للزمنِ النحسِ
 زمنُ أعماني أدماني
 كعويلِ المأتمِ في العرسِ
 يتهدَّجُ صوتي مهموساً
 لأخطَّ الروحَ بأشعاري
 إمّا أن نعلو كالعنقاءِ
 معاً كشعاعٍ للفجرِ الضاري
 أو أحفرَ بالإيقاعِ الدامي هوةَ رمسي
 وأنا أدري ما ينبئُ حدسي
 أنّي أذُ أرثيكم... أرثي نفسي

النشيد الثاني

"في الحدث"

ويساوئني وهم النسيان:
 قد جاوزنا قمماً وصخور
 وعبرنا اودية المحذور
 في درب الثلج لنا بصمات
 في درب الشوك لنا عثرات
 كم كادت تبلعنا الغابات
 فلننس هنا عند الشيطان
 آلاماً يحضنها الماضي
 فالقادم سرٌّ مجهولٌ
 لن يوضِّحهُ النصلُ الماضي...

"في الرؤى"

لا لن ننسى كلَّ الماضي
 لن ننسى القهرَ جدارَ السجنِ ووجهَ القاضي
 لا لن ننسى طعنَ القُربى
 بوجيفِ القلبِ الراضي

العقربُ يبصمُ بالمِهمازُ
لِيُمَوِّهَ جرحَ الطعنةِ بالألغازُ
لا لن ننسى
فالجداولُ يذكرُ إنشادَ الغيماتِ المُنزلاتِ المَطِرَةَ
لَمَّا حَضَنَتْهُ رذاذاً حتى حازُ
من نُطقِ الماءِ خريراً كالإيجازُ
لحنَ الأشعارِ المُنهمِرَةَ
كمجازِ الرؤيا
حينَ يُكوِّنُ في رحمِ الإعجازِ
استغفِرُ أغنيَّتي
حتى الخشبُ المحفورُ بنافِذَتي
في بابِ الغرفةِ في الكرسيِّ وطاولَتي
لم ينسَ حنينَ النسغِ رضاعاتِ اليخضورِ
لكنَّ السَّمَّ الناغلَ فينا
يتبدَّى أكسيراً خمراً كي يُنسينا
أنَّ التغريبةَ باركها عتمُ الديجورِ
سكَّانِ الكهفِ غزوا كاللعنةِ واديننا

واختاروا الزيفَ لنا ديناً
 كي تُرمى مثلَ جنينِ مَيِّتٍ
 بولادةٍ عُسْرٍ مُبْتَسَّرَةٍ¹
 وتُسْجَلُنَا أمواه الأنهار العِكرَة
 إرهاباً صِفرًا أو نِكِرَةً
 من أجبرنا أن نهجرَ كالقِطْعانِ أراضينا؟
 ... عتْمُ الديجورِ
 بالوهمِ رضينا حينَ مَضِينَا نستهدي أثرَه
 كقَرْنَا العودَ وقطَّعنا حنقاً وتَرَه
 توَجَّنا بالأحزانِ أغانينا
 من أخرجنا من وادينا؟
 عتْمُ الديجورِ
 أو ما كُنَّا ندرِي أَنَّا
 أغلَقْنَا آفاقَ الإبداعِ بأيدينا
 وبأنا حينَ نبارِكُ عقدَ قِرانِ المُهْرَةِ والبَعْلِ
 ستجُنُّ خَلايا الخلقِ

¹ - مبتسرة الولادة قبل انتهاء فترة الحمل

وجينومات¹ النوع ستختلُّ
 سنديبٌ ملامحنا محناً محناً
 منّا من تُربيتنا من صبوتنا
 وسط الثمّرة
 يتوالّد فينا دودُ الخلِّ
 يتكاثرُ مثلَ حشودِ النملِ
 في حُضنِ الأخشابِ النخِرةِ
 ما زالتْ تحتَضِرُ الخضراءُ الفارعةُ النَّصِرةُ
 وسيخْرُجُ من ذاكِ الرحمِ الهادي مسخٌ حشِرةُ
 ما أقسى جرحاً من فأسٍ
 غاصتْ يلحاءِ الوصلِ المنتجِرةِ
 من يبلغُ عني
 أعناقِ الشجرِ المقتولِ بنصلٍ قد شطّره
 أن المخلَ الخشبيّ ذراعِ الفأسِ المُنتَصِرةِ
 هو عُصنٌ من تلكِ الشجرةِ

¹- الجينومات – الجينوم الشريط الوراثي الأشمل يوجد في نواة الخلية ... والجينات (المورثات) وما يعينني هنا هو الإحياء الرمزي لهذه المورثات في عمق التاريخ

النشيد الثالث

"في الحدث"

لا تأكلُ أسماكَ المتوسطِ مهما جعتُ
 فيها من روحِكَ أنتُ
 مازالت فيها نكهةُ لحمِ الغرقى
 كل الماتو ظلماً
 ما زالوا أحياءَ صدقا
 يا صامتُ وحدك في سفْرِ التغريبةِ مُتُ
 أولادُكَ أبناءُ الحارات وجيرانُكَ
 أحزانهمُ أحزانُكَ
 همساتُ البلدةِ آذانُكَ
 موالُ السهرةِ الحانُكَ
 لن تنأى عنكَ ولن تنأى
 عن وشي الجبهةِ ألوانُكَ
 يا أشجارِ التحنانِ أجيبني
 هل رَحَلتُ يوماً
 عن جذعِكَ أغصانُكَ

قل أين ستناى: جدرانُ الجيرةِ جدرانُكُ
 أطفالٌ ما عرفوا البسماتِ طوالَ سنينِ
 قد أولمَهُم للبحرِ سماسرةُ التتّينِ
 وكلاءُ الموتِ
 وأنجسُ خلقِ اللهِ الحمقى
 كسروا الأفقا
 بحرِابِهِمُ سَنَدُوا العُنُقَا
 ألقت أحلامِ الناسِ عصاها
 في البحرِ الواعدِ ما انشَقَّا
 عبروا أهوالِ الدربِ الصعبِ وفي الآماقِ
 تتلألُ مرآةُ الآفاقِ
 غصباً عن كلِّ قواميسِ اللفهةِ حزناً عِشقا
 دوى صنجُ كالأقذارِ
 انطلقتُ تغريبةُ أهلِ الشامِ الأنقى
 لا حلماً بالأرقى بل هم
 ولّوا هرباً من مقدورِ أشقى

النشيد الرابع

"في الحدث"

قد ظلّ اللحم بأن نلقى مأوى ومراسي
 أملاً بالطاعم والكاسي
 مذ غادرنا الشطّ القاسي
 انكبّ على الشطّ الكبدُ-
 أطفالٌ لا يُحصى العددُ
 ما زالَ على الرملِ الجسدُ
 جرحٌ قد أدمى أكواناً
 مُذ أنّ لمرآه الأبدُ

"في الرؤى"

من أبعَدنا عن أهلينا لنخوضَ بحور؟
 عتم الديجور
 ماذا تعني عتمُ الديجور؟
 مصاص دماء شعوب الأرض ومهنته حفار قبور
 بيت قد يبدو مبيضا مثل الطباشور
 وبجوهره وكر ماخور

يا من تحتالُ على الأفكارُ
 وتظنُّ الحادي قد ينهارُ
 إن نُحتَ وصِحتَ لتفرَّعهُ
 والحادي يحسبُ أنَّكَ مذعوراً ستولي الأديارُ
 إن هزَّ أمامك إصبعهُ
 من أدخلَ هذا الثالثَ الموبوءَ الملعونُ
 سرطانُ وجزامُ طاعونُ
 سرطانُ حل بشرق النهر شقيقي عَقَّ وبايعهُ
 ولسوفَ يبيعُ شقيقي بالمجانُ
 وبحوضِ النفطِ سينقهُهُ
 وهلالُ جذامِ بني عثمانُ
 أبناءُ الملةِ تتبعهُ
 أمسوا خدماً عندَ السلطانُ
 قلَّ كيفَ الخادمُ يمنعهُ
 واستشرى بجنوبي الطاعونُ
 شلَّ ابنَ العمِّ وقوقعهُ
 من أدخلَ هذا الثالثَ الموبوءَ الملعونُ

عَسْفُ الْفَرَضِ وَعُنْفُ الرِّفْضِ

هل قمعُ إِذْلالٍ وسجونُ؟

أم بيعُ أموالٍ وذقونُ؟

كن ضدَّ الحادي أو معه

من غيرِ جُنونُ

كُنْ خصماً طيفاً يتحدى

كُنْ حصناً درعاً يتصدى

أو جاورُ حباً أضلعه

اسمعهُ صوتكَ رناناً شلالَ وعيدٍ واسمعهُ

لا تستجدي سربَ الحيتانِ لتصرعهُ

كي تأخذَ غصباً موضعهُ

النارُ إن اشتعلتُ حرقاً

فستومض طلقاتُ برقاً

ترديكُ وتخطئُ مصرعهُ

وستوغل في الثدي الأنقى

كم أرضعكَ التحنانَ وأرضعهُ

النشيد الخامس

"في الحدث"

الموجةُ تعلو والأنفاسُ تغورُ
والخلقُ بوسطِ المركبِ يستجدي الذنبَ المغفور
كطنينِ النحلِ تراتيلِ الإذعانِ لعرشِ النورِ
فلربَّ سينفُحُ بعد قليلٍ صعقاً بالصُورِ
وتمر بنا أجسادُ تطفو... أشلاءً من فوقِ صُخورِ

"في الرؤى"

العُزْبُ اثنانُ
والكرْدُ اثنانُ
فيهم شهْمٌ كالتاجِ على رأسِ الأزمانِ
فيهم مردولٌ مخدولٌ خوَّانُ
ما زلتَ حبيبي يا آلان¹
وعلى زندي كم طفْتُ بكَ الحلمَ المأمونُ
قاتلتُ سجلَ نفوسِ البلدةِ كي تنجو من ظلمِ كانِ
لنسيرِ إلى حقٍ سيكونُ

¹- آلان: اسم منتشر لدى الأخوة الأكراد

مثلي أنت الآن
 فلماذا ترقصُ وسطاً رهانُ
 وتحوّل عنّا ضرعَ الزيتِ المخزونِ
 لن ينسى الجلدُ صقيعَ الشريانِ
 أيامَ البردِ المأفونِ
 لو يغدرُ هدبٌ بالأجفانِ
 لخبأ في العينِ الإنسان¹
 وغدا حجراً من غير شعورِ
 عدساتٍ ملساءٍ بلورِ
 من ذا سيُجيرُكَ يومَ مليكُ الجانِ
 يُهدي أصواتك زلفى كالألحانِ
 كي يسمَعها
 القردُ أغانِ
 هل حقاً يأتي يومٌ فيه ستنكرُني وتقاتلني
 لا أقدرُ حتى أن أتخيلَ أنّك بتّ حليفاً للثعبانِ
 ما زلتَ حبيبي يا آلانِ

¹ - وفي عبارة لخبأ في العين الإنسان المقصود الحدقة

ما دمتَ الإنسانَ الإنسانَ
 من يقطع أوصالَ الكَثبانِ
 تتبرأ منه الأرضُ بكلِّ زمانٍ
 كالشوكَةِ تلفظُها الأبدانُ
 فامسكُ كفي بالكفينِ
 لنعيدَ معاً حصناً عفرينِ
 ونسمي ساحتها الكبرى
 للذكرى بسمة بيرين¹
 ذاتِ النبعِ الطاهرِ في العينينِ
 وسنفضُ زيفَ ذوي الوجهينِ
 كنا وسنبقى كنزَ حنانِ
 قلباً ووتينِ
 ها نحنُ معاً خبزُ لإخاءِ
 مني أكياسُ القمحِ ومنك الماءُ
 لا يُعجنُ خبزُ دونَ طحينِ

¹- بيرين من تنويعات اسم بارين وهي مقاتلة كردية سورية قتلتها الجيش التركي
 ومرترقته إبان اجتياح عفرين

النشيد السادس

"في الحدث"

في الخيمة وسط الثلج نموت
ظمأى تحت الشمس نموت
ونظّلُ نسايفرُ في بطن الحوت
ما بين مخالب أزمنة
قد سِرنا أياما بظنون
ما بين برائن أمكنة

نجتازُ كمائن ترحيل وسجون
كالحنطة بين رحى الطاحون

"في الرؤى"

السُمرةُ قبلُةُ تذكارٍ
لشعاعِ الشمسِ على البشرةُ
لكنَّ الأحياءَ الأمواتُ
باتوا أكفانا منتشرة
عشقتُ تابوتَ النسيانِ
أكفانُ أكفانُ أكفانُ

يا مَنْ تهوى قتلَ العُشَّاقِ
 زُلفى لزعيمِ الجرذانِ
 وتببِعُ تفاسيرَ القرآنِ
 لشرائعِ يهوءة¹ بالمجانِ
 الأعظمُ لا يرضى
 تمزيقَ العهدِ وطعنَ ملاذِ
 ما كانَ محمدُ عبرياً
 تنبيكِ رؤى حكمِ ابنِ معاذ²
 ماذا فعلَ الهندي³ بأعناقِ الشذاذِ
 ما زارَ جدارَ المَبكى كالغُربانِ
 بل جاءَ الأقصى فوقَ بُراقِ
 يا مَنْ أهدى لأبي لهبٍ كِنزَه
 تستهوي مَنْ قد أدمى عنقَ القدسِ وحرَّه
 تستقوي بالكلبِ المسعورِ

¹ - يهوءه إله اليهود وكان يعرف بإله البراكين وما يهمني هنا هو أنه إله عنصري دموي يشجع على السطو والسرقة... وقد حولت الهاء إلى تاء مربوطة لاستكمال الإيقاع

² - المقصود سعد بن معاذ "سيد الأوس" وقد حكم على يهود بني قريظة بعد أن غدروا بالمسلمين إبان معركة الخندق بأن تسبى نساؤهم وتصادر أموالهم ويقتل رجالهم

³ المقصود السيف فالهندي من أسمائه

هل تذكرُ يا عرَّابَ الزفةِ غزَّةُ
 لكأنَّكَ لا تدري ماذا
 بحماها قد فعلَ الفوسفورُ
 إنْ رمزُكَ عتمُ الديجورُ
 والحامي حفارُ قبورُ
 كالذئبِ أذلكَ طبعُ الغدرِ
 وقهرُكَ للمظلومِ أعزُّه
 فلقد أهداهُ شعاعُ الشمسِ الطاهرِ رمزَه
 مكتوبٌ في مرآةِ النورِ
 بالبرقِ سُطورُ
 أنَّ الأمجادِ ستبقى واضحةً
 كرفيفِ طيورِ
 والخسَّةِ سمِّ غدارِ
 في نابِ الأفعى وسطِ جُحورِ
 والطعنةِ في الظهرِ تُذللُ الغادرَ لا المغدورِ

النشيد السابع

"في الحدث"

يدنو لي كلبُ البحرِ
يُذَكِّرُنِي إِذْ يُبَدِي عَطْفَهُ
بنعيق المحظورات وبوق بُنوكِ
بعجوزٍ غانيةٍ أمست تُحفهُ
رَهْنَتْ نَهْدِيهَا فَخَذِيهَا دَهْرًا لَسِيولِ النُّطْفَةِ
قد أمست وَاَعْظَةً تُعْطِي لَسِمَاسِرَةَ الإِلفَةِ
السُّلْفَةَ تَتْلُوها السُّلْفَةُ
وستمنحُ اللُّقوادَ شَهَادَةَ حُسْنِ سُلُوكِ
لم أسمعَ أَحَقَرَ مِنْ هَذِي الطَّرْفَةِ
ليستَ مَآثِرَةً وَجَسَارَةً
بل أَنذَلُ عَهْرًا وَحِقَارَةً
أَنْ تَتَهَمَ امْرَأَةٌ مِنْ أَقْدَمِ حِرْفَةٍ
حَقْدًا حَسَنَواتِ الحارَةِ
بِضِياعِ الشَّرْفِ وَفَقْدِ العِفَّةِ
أَنْ تَنْقَلَ لِلجارَةِ تَلَوَ الجارَةِ

في أن حرائرَ أهلِ الشامِ
 قد زرنَ الشُّرْفَةَ دونَ غِطاءِ
 فليغسلِ وطنُ النخوةِ عارَهُ
 وليُصبحَ سيلُ الدِّمِّ شِعارَهُ
 لَمَحَتْهُنَّ امرأةُ الحِرْفَةِ
 من كَوَّةٍ مَخَدَعِهَا في بيتِ دِعارَةٍ
 "في الرؤى"

فانهضْ يا صنو الفجرِ إلى مجدِ الإنسانِ
 واحذرْ من رتلِ البطشِ وسربِ الغربانِ
 فالعُربانُ اثنانُ
 مكَّارٌ نكَّارٌ سمسارٌ مُنغمسٌ بالتدليكَ
 يتباهى حيناً بالحقِّ وحيناً بالمَقْتِ
 والوجهُ الآخرُ أنتُ
 الأطهرُ مغموسٌ بالقهرِ ومحكومٌ بالتبريكَ
 وأنا أتُنقلُ منكَ إليكَ
 كالمازوخي¹ أعذبُ نفسي فيكَ

1- المازوخي: الذي يحب تعذيب الذات

وَأُقْبِلُ شَمْسَ جَبِينِكَ وَأُعْزِيكَ
 هَا أَنْتَ مُسَجِّي فِي غُرْفِ الْإِنْعَاشِ
 تَتْبَاهِي بِجِرَاحِكَ مَزْهُوًّا كَصِيَاحِ الدِّيَكِ
 كَرَفِيفِ عَصَافِيرِ الْأَعْشَاشِ
 إِنِّي لَا أَفْهَمُ كَيْفَ تُصَدِّقُ أَنَّ الْمَعْتَوَةَ النَّهَّاشِ
 مَنْ يَشْوِي كُلَّ مَسَاءٍ سَرَبَ بَلَائِلِ
 يَهْوَى التَّغْرِيدَ وَشَدَوَ عِنَايِلِ
 هِيَ تَزْعُقُ لَا تَشْدُو إِذْ تَنْتَفُّهَا يَا حَشَاشِ
 أَرَأَيْتُمْ يَوْمَ الصَّعْقِ قَتِيلًا
 يَمْشِي بِجِنَازَتِهِ قُرْبَ الْقَاتِلِ
 هَا أَنْتَ تَنَاجِي مَنْ يَكْوِيكَ
 تَفْنَى قُرْبَ قَنَاعَةِ كَنْزٍ لَا يَفْنَى كِي يَبْقَى الْمُلْكُ
 تَتَلَاشَى كَالْهَنْدِيِّ الْأَحْمَرِ
 كَالْأَوْبَاشِ بِلَا أَرِيَاشِ
 وَسَيَصْحُو الْكُونُ بَعِيدًا عَنْكَ
 تَتَحَجَّرُ حَتَّى لَنْ يَعْزِيكَ
 إِنْ هُمْ ذَبَحُوا فِي الْفَجْرِ أَهَالِيكَ

مَسَحُوا السَّكِينَ بِثَوْبِكَ ثُمَّ رَمَوْهَا بَيْنَ يَدَيْكَ
 فَلْيَعْبَثْ طَاغُوتُ الْمَالِ بِتَارِيخِكَ وَلْيَلْعَنَكَ
 وَلْيَسْرِقْ حَتَّى النُّخْوَةَ مِنْكَ
 هَلْ كَانَتْ تِلْكَ النُّخْوَةُ يَا مَقْهُورُ لَدَيْكَ
 مَا دَامَ الْمَوْتُ وَشَيْكَ...
 إِمَّا بِالسَّيْفِ الصَّحْرَاوِيِّ الْمَسْنُونِ
 أَوْ مَسْفُوداً¹ لِلشَّيِّ بِخَازُوقِ التَّنْزِيكِ
 فَاخْرُجْ مِنْ خُدْعَةِ قِصَّةِ شَمَشُونِ
 مِنْ هَذَا الدَّرْبِ الشَّائِكِ
 لَا لَيْسَ عَلَيْكَ وَعَلَى أَعْدَائِكَ...
 هَذَا فَخٌّ يَا مَجْنُونُ
 فَاحْفَظْ كَالْمَهْجَةِ لِحَمِّ أَخِيكَ
 وَاعْمُرْ كَالْبَهْجَةِ بَيْتَ أَبِيكَ
 يَتَهَاوَى الْمَعْبُدُ مِثْلَ سَقُوطِ نِيَازِكَ
 أَحْجَاراً فَوْقَ رُؤُوسِ بَنِيكَ
 وَعَلَى أَحْبَابِكَ يَا جَانِي وَعَلَيْكَ

¹ - مسفود: مغروس فيه سيخ الشبي، السفود

النشيد الثامن

"في الحدث"

بمسار الرحلة

كانت تتبعنا الأسماك

كنا طعاماً في سناراتِ اللحم

وكان القاربُ مثلَ شباك

كانت تتمنى أن يُرمى

أحدُ منا من دون حراك

أو يغرقَ مركبنا

فأكمَّ غرقت فينا الأفلاك

ما الفرقُ

وكلُّ العالمِ كالأشراك

... أن نغدو للأسماكِ طعاماً

أو نبقى خلفَ الأسلاكِ

كالمنبوذين هناك

لا فرقَ ففي الحاليين هلاك

"في الرؤى"

اسمعي أنت: يا مَنْ عاش
 منفيا عن نور الشمس
 مهانا بكهوف الخفاش
 كالهنديّ الأحمر قد تتلاشى
 أو مخصياً تغدو عند حريم الباشا
 أو قد تُسبى في الليلِ نساؤك
 "حاشاك وحاشى"

لا لن يتحاشى
 ذاك الغاصبُ أن يومي بيديه
 فتسارغ طوعاً كي تأتيه بنعليه
 بوعاءِ الماءِ إليه
 مذلولاً مُنصاعاً بيديك
 لتصبَّ الماءَ عليه
 إذ ذاك ستدري معنى الغربة وسط روايبك
 حين السوريون الآتون من الأناضول
 يلقونك صباحاً "بقونايدن"¹

1- قونايدن- صباح الخير باللغة التركية

ما من أحد قد يشدو بصباح الخير
 أخبرني ماذا قد بقيَ لديكُ
 أن تقتلَ نفسكَ شهما كالسامورايِ
 لم يبق سوانا كأنينِ النايِ
 لكني في مرآةِ التاريخِ
 سواكَ وأنتَ سِوايِ
 إني استنهُضُ جيناتي
 من سومر¹ كي أصفو
 فأخرجُ من ظلِّ عباءتِهِمُ
 إياكَ بأنْ تغفو
 ماذا يعنيني الآنُ
 مَن كانَ الفحلُ الحاضِنُ جدتِنا الأولى
 عندَ بداياتِ الأزمانِ
 قحطانُ الأخصبُ أم عدنانُ²؟
 ما يعنيني الآنُ
 أنا ميلادُ النشوةِ في روحِ الإنسانِ

1- سومر-آرام-أشور من الحضارات السورية القديمة
 2- عدنان جد العرب المستعربة وقحطان جد العرب العاربة

عُربُ أكرادُ سريانُ
 دُمنا أكسيرُ الأرحامِ
 يتمازجُ حباً في الشريانِ
 بخلايانا جيناتٌ من أشورَ ومن آرامِ
 أقسم بدموعِ الأيتامِ
 أن حلالَ إله القهرِ حرامِ
 وأنَّ المالَ بكفِّ البائعِ لحمِ أخيه حرامِ
 وحرامٌ أن تبلى يا مقهورُ
 مدى الأيامِ
 وحرامٌ أن تفنى يا طهرَ الشامِ
 يا دمةَ أحداقِ الآلامِ
 يا صنوي يا وادي يا سندي
 يا ضوءَ عيوني
 والله حرامِ

النشيد التاسع

"في الحدث"

فَتَنَّتْنَا حِينَ وَصَلْنَا أَلْوَانَ السَّاحَاتِ

صَعَقْتْنَا أَضْوَاءَ الْحَانَاتِ

سَحَقْتْنَا الْبِلْدَاتِ الصُّغْرَى

أَوْرِبَا أَشْبَاحِ الْأَوْهَامِ السَّكْرَى

بَعْضٌ قَدْ كَانَ الْحِظُّ حَلِيفَةً

بَعْضٌ قَدْ عَوِمِلَ مِثْلَ الْجَيْفَةِ

زَجَرْنَا أَوْ حَجَرْنَا كَالْحَشْرَاتِ

مَا ضِعْنَا فِي الْوَطَنِ الضَّائِعِ

كَمْ كَانَتْ تَأْسُرْنَا الْكَلِمَاتِ

كُنَّا نَلْقَى الْجِيرَانَ صَبَاحاً بِالْبَسْمَاتِ

كَانَ الْمِثْلَ الْأَعْلَى نَكَرَانُ الذَّاتِ

صِرْنَا مَكْرًا...

نَتَبَارَى فِي نَكَرَانِ الذِّكْرِ...

وَعَدُونَا وَسَطَ مَلَاعِبِ أَهْدَافِ الدُّوَلِ الْكُبْرَى

كِرَةً تَتَقَاذِفُهَا الْأَرْجُلُ بَيْنَ الْيَمْنَى وَالْيُسْرَى

خَطْبُ جَلُّ أَنْ تَسْتَجِدِي إِحْسَاساً صَخْرَا
حَسَّامَات

تَتَقَادُفُنَا الْأَرْجُلُ سَطْرًا يَمْحُو سَطْرًا
عَبْتُ وَجَنُونَ أَنْ تَفْتَحَ لِلْأَمْوَاتِ الْقُبْرَا
كِرَةً أَمْسِينَا يَا لَسَعِ الْجَمَرَاتُ
هَذَا زَمَنٌ مَقْيَاسُ النَخْوَةِ فِيهِ بِتَعْدَادِ الرِّكَالَاتُ
"فِي الرَّؤْيِ"

كِي نَمْضِي نَحْوَ الْفَجْرِ وَنَرْفُو
قَمِصَانَ اللَّيْلِ بِخَيْطِ اللَّقِيَا
سَيَكُونُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَذَكَّرَ مِنْ كُنَّا
قَدْ كُنَّا أَطْيَبَ سُقِيَا
كِي يَغْدُو بَاخُوسٌ¹ الْحَانِي مَخْمُورًا وَلِهَانَا
سَيَقَانُ الْمَرْمَرِ كَانَتْ تَعْصِرُ بِالْأَقْدَامِ دِنَانَا
عِنَابًا كَالْفَرْحَةِ رِيَانَا
قَدْ بَايَعْنَا الْحَرْفَ الْأَوَّلُ
مَنَا انْطَلَقَ الطَّرْبُ الْأَجْمَلُ

¹- باخوس إله الخمر عند الرومان وله معبد في بعلبك وهو نفسه دينيسوس عند الإغريق

وتموسقَ سحرا أَلحانا... كرمى لأنانا¹
 كي تحنو نورا وسنطَ جمانا
 او لولانا
 ما كان الوصلُ لأهل الأرضِ وما انتشرتْ
 في البحرِ قلوغُ
 هذي حربٌ بين العقمِ المستوطنِ في الرملِ المقموعِ
 وسهولِ الخضرةِ تخصبها جناتِ زروعِ
 بين الحبِّ الخادعِ والقلبِ المَخدوعِ
 بحناجرنا يا سرجونُ الأكادي² نداءً
 مدَّ إلينا حبلَ نِجاةٍ
 أخرجنا من هذي الصحراءِ
 أخرجنا من بئرِ النفطِ
 وطوَّفنا بحدائقِ بابلِ
 وانزغَ عنَّا تاريخَ الهمجِ وثوبَ القاتِلِ

1- أنانا آلهة الحب عند السومريين وبالتالي هي عشتار عند البابليين وأفروديت عند الإغريق

2- سرجون الأكادي أو الأكدي أول حاكم علماني في سورية القديمة في الالف الثالثة قبل الميلاد وقد وحد جميع المدن السومرية في مملكة سورية عظيمة كانت تمتد من الأهواز الإيرانية وحتى هضبة الأناضول وسواحل المتوسط ووصلت جيوشه حتى قبرص

هذا دُمْنَا مجبولٌ بالعشقِ الخلاقِ الهادِلِ
 فقبائلُهُمْ ليستُ من وادينا
 وأياديهم ليستُ كأيدينا
 نحن العربُ الأبقى نحنُ الأنقى
 ما زالوا خنجرَ غدِرٍ مسمومٍ في ظهرِ أخيهم
 ما زلنا الصدرَ الحامي ظهرَ أخينا
 لا لن "يتأنسنَ" هذا الذئبُ الساكنُ فيهم
 لا لن "يتذأبنَ" هذا الطيبيُّ الساكنُ فينا
 كونوا ما شئتمْ وسطَ جحورِ الصخرِ
 كونوا من بطنٍ أو فخذٍ أو ذيلٍ أو جحر
 عيشوا في عصرِ نكاحِ جهادِ الخصرِ
 منّا ابتداءً التاريخُ وقد رسمَ البسمةَ فوقَ الثغرِ
 نحنُ أهالي الشامِ الأشهى
 فخراً نحنُ وشاخُ الفجرِ
 نحنُ الباقونَ بقاءَ الدهرِ
 أما أنتمْ فستدروكمْ ريحُ الأحقادِ
 ولن يبقى منكمْ حتى القبرِ

النشيد العاشر

"في الحدث"
 شربتنا أرضُ الغربةِ
 همّاً لا تمحوه الأيامُ
 لكنّا حينَ ننامُ
 نستلهمُ كالطفلِ الغافي
 وسَطَ الأحلامِ
 حزنَ الأمِّ الشافي
 ننسى الآلامَ
 نتهادى في النبضِ الطافي
 فوق الأنغامِ
 فيه يندى توقيتُ الشامِ
 ... يتهادى للأسماعِ هديلاً
 تدنيه الأصدااءُ
 من كلّ المضطهدينِ نداء
 كالضوءِ الهادي فوق الماءِ
 ليهلّلَ بشراً بالأفواجِ

تتنادى عائدةً كربي الأمواج
كي تغسل آفاق الأوهام
بزغاريد العشاق
وتلويح الأعلام
تنهي تغريبةً أهل الشام
أدري أن بعد سنينٍ لا أيام
قد شدوا الهمة ما من حائل
وسيرقى الشاطئ من سيواصل
سنضمدُ جرح أراضينا
بمروج سنابل
ونطوق أعناق اللقيا
ورداً وجلاجل
وغداً يشدو الفجرُ الذاهل...
سجل هذا الخبر العاجل
ها هم عادوا فاشهدُ يا تاريخَ المجد العادل
أنَّ الشعبَ السوري شعبٌ زاجل

تهليلة

هل أدركتُم ماذا يعني اسمُ السوري
نسرٌ جسرٌ أو أكسيرٌ ونداءُ المنعةِ في السورِ
نسرٌ أنتُ

إنَّ وسطَ سمائي اختالتُ غربانُ البُغضِ
وطَني الصادي سيظلُّ يُنادي انتَ نُسوري
جسرٌ أنتُ

أنى قضمتُ جردان الغدرِ خطوطَ الوَمضِ
وطَني الصادي سيظلُّ يُنادي أنتَ جُسوري
اكسيرٌ أنتُ

قَصَفُوا العملاقَ ارتضَّ وها هو ينهضُ
أنتُ الأكسيرُ فعد لتداوي آلامَ الضلعِ المكسورِ
سورٌ أنتُ

الصدرُ كسورٍ يحمي القلبَ ووقعَ النَّبضُ
لما سئَلَ الوطنُ المكلومُ بصوتِ حنينٍ مأسورِ
مَنْ ذا يحميكَ وسوركِ أينَ بهذي الأرضُ
وطَني الصادي مازال يُنادي ابني السوري "سوري"

القصيدة ليست صعبة كما قد يبدو للوهلة الأولى، كل ما في الأمر أن تلقّيها يحتاج إلى متابعة بنائها الدرامي، فالنص أشبه ما يكون بقصة شعرية تتحدث عن سيرة شعب، وهي تعتمد على خطين رئيسيين في بنائها الدرامي (المقاطع التي تتحدث عن مسار التغريبة وحيثياتها وهي مبنوثة في بداية كل نشيد وتحتل أيضا النشيد الأول والثالث والأخير) وخط آخر يستنهض التاريخ للكشف عن أسباب المصاب ويستنطق الواقع ويستشرف المستقبل لتحديد المسار نحو الخلاص والوصول إلى شط الأمان) وبالتالي يكون لكل نشيد مدخل: - هو مسار التغريبة ، و متن- وهو صدى التغريبة أسبابها وآفاقها... أي أنها قصيدتان توأمان في قصيدة واحدة

المجد للذين

المجد للذين

تَسَابَقُوا كَالسَّيْلِ هَادِرِينَ

لِلْفَوْزِ بِالشَّهَادَةِ

وَأَسْنَدُوا الرُّؤُوسَ لِلأَحْجَارِ كَالوَسَادَةِ

وَلَمْ يَبِيعُوا ذَرَّةً مِنْ تَرْبَةِ الوَطَنِ

لِقَاءِ عَشْبَةِ السَّعَادَةِ¹

أَوْ مَنْصِبِ الطَّبَالِ وَالزَّمَامِ وَالإِشَادَةِ

بِجَوْقَةِ القِيَادَةِ

مَضُوا وَبِصْمَةِ الصَّخُورِ فِي عِرْوَاقِهِمْ

مُورَثَاتُ-جِينُ²

وَكَلُّ فَارِسٍ بَدَا جِثْمَانُهُ كَأَنَّهُ الوَتِينُ³

¹- كان غلغامش يبحث عن عشب الخلود لكي ينقذ صديقه أنكيكو لكن الأفعى أكلتها

وهو نائم فصارَت تَغْيِير جِلْدَهَا فَتَتَجَدَّدُ، وَهنا تحديدا القصد في الرمز والإسقاط

²- الجينات هي المورثات والتي تحتوي على شفرة تحدد تشكيل وتطور الكائن الحي

وحتى سلوكياته، والمقصود هنا هو أن هؤلاء الأبطال أسمى من أن يقعوا في حبال

المساومة والمقايضة حتى بجيناتهم

³- الوتين هو الشريان الرئيسي يخرج من القلب ويضخ الدم المحمل بالأكسجين للجسم

في الدورة الدموية الكبرى

يزهو بصدْرِ الأرضِ كالقِلادةِ
 مَنْ أوغلتْ دماؤُهُم إلى الجذورِ طائعينُ
 كي يزرَعوا مشاتلَ الإِرادَةِ
 وكلُّ نبتةٍ قَتادةٌ 1
 بوجهِ عملاقٍ وحيدِ العينِ 2
 يقاتُ من لحومنا و عينُهُ ترى بأننا
 شعبٌ مصيرُهُ الإِبادَةُ
 ويقضمُ السيادةَ
 يلوکها ممزقاً لشعبنا بلادَهُ
 لكنَّ أوليسَ المعاصرِ 3
 سيقلبُ المصائرُ
 ويفقأُ العينَ الوحيدةَ°

1- قتادة شجرة كثيرة الشوك تؤذي من يقترب منها

2- وحيد العين - المقصود بوليفيموس من الشخصيات المثيرة (السايلوب) في الميثولوجيا اليونانية، وهو ابن إله البحر بوسيدون، والإسقاط هنا على أمرين الأول أنه من أكلة لحوم البشر، والثاني أن أوليس تمكن من أن يفقأ عينه، وهذا ما سيفعله أوليس السوري مع بوليفيموس المعاصر!

3- أوليس أو أوديسيوس بطل اسطوري إغريقي كان ملكا على إيثاكة ساهم في حرب طروادة وإليه تعود فكرة الحصان الخشبي، وهو الذي فقأ عين بوليفيموس ابن إله البحر بوسيدون آكل البشر

ويسحقُ البلادةُ
 المجدُّ في التاريخِ دَيْنُ
 للأجملِ الذينُ
 عادوا بتاجِ الأوفياءِ نخبَةً مُشوهينُ
 لأنَّهم أدّوا صلاةَ الرائعينُ
 تقبَّلَ اللهُ النزيفَ
 ممجداً تاجَ الريادةِ
 من الأباةِ العاشقينُ
 مباركاً أنقى عبادةِ
 طوبى لِمَنْ أتمَّ
 مسيرةَ الفداءِ دونما قَدَمِ
 لخدقِ يزودُ عنه كالعرينُ
 لسورةِ الإباءِ فوق هالةِ الجبينُ
 مختومةِ بدمِ
 سيسجدُ الفؤادُ ركعتينُ

لفارسِ الشَّهامةِ الأَمِينُ
 لأنَّهُ أصرَّ أنْ يُتَابِعَ النَشِيدَ في تحيةِ العِلمِ
 وحلَّقتْ عيناهُ بالرَّفيفِ كالنَّسورِ لِلقِمَمِ
 بصوتِهِ المَخنوقِ بالألمِ
 وما خطا إِلَيْهِ خطوتَيْنِ
 كما خطا رفاقُهُ لرايةِ الصِّباحِ
 قد باتَ مرهوناً بكرسيِّ النَشامى المُتَعَدِينِ
 أذى كَرَعِدِ صيحةِ الإيعازِ رنَّتْ داوِيَةً:
 "قَدِّمِ سَلاحَكَ"
 وحرَّرتِ الجفنانِ دمعَتَيْنِ
 لَهُ جلالاً أَنحني كَزاوِيَةً
 فقد أصرَّ مُقَعداً بأنْ يُقَدِّمِ السَّلاحِ
 مستنطقاً رَجَعَ السنينِ
 كم رَجَّتِ الأَرْضينِ عِناقاً من خُطاهُ
 كالرَّعْدِ في تحيةِ العِلمِ

لَأَنَّهُ أَتَى بُعِيدَ خَوْضِهِ مَعَارِكَ الْجِرَاحِ
أَتَى لِأَهْلِهِ بِلَا سَاقِينِ
وَيَسْجُدُ الْفَوَادُ رُكْعَتَيْنِ
وَأَجْهَرُ السَّلَامِ فِي تِلَاوَةِ الْخِتَامِ
لِذَلِكَ النَّحِيلِ كَالْحُسَامِ
فَقَدْ مَضَى وَحَلْمُهُ بِأَنْ يَعَانِقَ الْعِيَالَ
يَضْمُهُمْ لَصَدْرِهِ بَعْنَفَوَانَ شَوْقِهِ الدَّفِينِ
مَكْلَأًا بِنَصْرِهِ وَحَامِلًا لَهُمْ حِمَامَةَ السَّلَامِ
أَتَى مُخْضَبًا يَشْتَقُّ فِي الطَّرِيقِ زَحْمَةَ الْقَتَامِ
فَغَصَّ بِالْكَلامِ
وَحَرَّرَ الْجَفْنَانِ دَمْعَتَيْنِ
كَطَائِرٍ يَضُمُّ عَشَّةً أَحَاطَهُمْ
كَصَرَخَةِ النِّدَاءِ وَالرَّجَاءِ وَالْحَنِينِ
بِشَالِ نَظْرَتَيْنِ
وَعَانَقُوهُ وَهُوَ مَا اسْتَطَاعُ

وظلّ واجماً بقلبه الحزين
 فقد أضاع قدرة العناق في الصراع
 لأنه أتى بعيداً خوضه معارك الحمام
 أتى لأهله بلا يدين
 ويسجدُ الفؤادُ ركعتين
 لمن كعاشقٍ أخفى المروجَ والمراعي
 وسانها وسطّ الحُدقِ
 عن أعين الذنابِ والأفاعي
 عن جفَلِ الديدانِ والعلقِ
 يهيمُ وسطّ أرضه يحوطُها بنبضه
 كمعقلٍ حصينِ
 يردُّ غارةَ الرعاعِ
 وزوجةً في الدارِ في انتظارِ أنْ تحينِ
 مواسمُ العطاءِ تغزلُ الرجاءَ بالألقِ
 لطفلها الجنينِ...

مضى وكلُّ خطوةٍ غراسُ سُنْبُلَةٍ
 وحينَ ماجَ التبرُ حقلًا من عَبَقِ
 كَشَعِرِ شِقْرَاءِ انتشى
 من لمسِه مشطُ الشعاعِ
 جاءتهُ غربانُ اللهبِ
 ضجَّ انفجارُ القُنْبَلَةِ
 وكلُّ قمحِه الذي سقاهُ بالعَرَقِ
 جميعُهُ احترقَ
 ترمدتْ مواسِمُ الأنينِ
 فالنارُ في الهشيمِ مقصَّلةُ
 تَوَعَّلتْ سحابةُ السوادِ في بوابةِ الجفنينِ
 كمَ كانَ تَوَاقًا إلى الديارِ كي
 يرى الحبيبةَ الوليدَ بعد حينِ
 لكنَّهُ قد عادَ تائهاً مُلْفَعًا بالأخيلةِ

كَأَنَّهُ يَخْطُو بِدَرْبِ الْجَلْجَلَةِ¹

أَتَاهُ صَوْتُهَا الْحَزِينُ

فَمَدَّ نَحْوَهَا كَمَنْ يَسِيرُ فِي مَنَامِهِ كَفَيْنَ فَاحْمِينَ

وَحَرَّرَ الْجَفَنَانَ دَمْعَتَيْنِ

مِنْ مَحْجَرَيْنِ غَائِرَيْنِ

لَأَنَّهُ وَبَعْدَ مَا أَصَابَهُ

مِنْ نَارِ عَصَبَةٍ حَقِيرَةٍ وَسَافِلَةٍ

أَتَى لِأَهْلِهِ بِلَا عَيْنَيْنِ

....

المجد للذين

قد أوغلتُ دماؤهم بتربةِ الأنينِ

والمجدُ للمشوهينَ الرائعينَ

1- درب الجلجلة - درب آلام السيد المسيح بعد أن حكم عليه بالصلب حيث سار حاملاً صليبه من مبنى المحكمة إلى مكان الصلب في القدس! والإسقاط يرمز إلى الإحساس بطول الدرب وآلامه التي تحملها في سبيل الآخرين وفداء لهم

غليون الزمن

طابَ طَعْمُ الْمُرِّ طابَ
 فِي الْعَشِيَّاتِ الْوَطِيئَةُ
 حِينَ فَاضَ الدَّمْعُ مِنْ كَأْسِ الشَّرَابِ
 وَسَهَامٌ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تَصَوِي كَالْمَشِيئَةُ
 عِنْدَمَا قَلْبِي دَرِيئَةٌ
 هَا أَنَا أَدْنُو إِلَى مَهْدِ الْعِتَابِ
 أَجْمَعُ الْبَرَقَ الْمُصَفَّى مِنْ مَخْدَاتِ السَّحَابِ
 مِثْلَمَا بَعْدَ الْغِيَابِ
 يَجْمَعُ الْعِشَاقُ شَعْرَاتِ نَسْتَهْنَ الضَّفِيرَةَ
 مِنْ وَسَادٍ فَارِغٍ بَعْدَ وَصَلٍ فِي سُهَيْرَةٍ
 كَرَسُومٍ لَخَطُوطِ الْكَفِّ تُوْحِي بِالْإِيَابِ
 أَعْجُنُ الْوَمِضَ بِرِيْقِ الذِّكْرِيَّاتِ

بعد تجفيفِ النداءاتِ الخبيئةُ

مُلصِقاً فحَّارَهُ المحقونَ بالآهاتِ

كالكبريتِ في نصلِ العذابِ

عندما تبغي اغترابُ

نفثةُ الدحَّانِ تسري مثلما أفعى الخطيئةُ

حينَ ينسابُ الضبابُ

من كوى الليلِ الرهيبِ

أيُّها القلبُ الصليبُ

ليسَ في الأفقِ نداءُ

ليسَ حتى في السماءِ

ومضُ أحلامِ بريئةُ

من سيصغي أو يُجيبُ

دونك التبغُ هشاشٌ للحريقِ

غابةُ أوراقها زُلفى لشاراتِ الطريقِ

نحوَ عرشِ الاغترابِ

سوف أستجدي بأن يأتي الصديقُ
وَيَمُدُّ الكَفَّ نحوي مثلما تمتدُّ كفُّ للغريقُ
عله يفضي إلى بيتي المُعنى بالشرور
يفتح الشبَّاك ينني عنه أطياف البخورُ
وتعاويدُ اللحى والعاهراتُ
شامخاً مثل الضياء
وادعاً مثل الحبورُ
يا لإعجازِ الوفاء
جئتني من قبلِ أن تأتي لأشلائي النسورُ
صبَّ لي يا صاحبي كأسَ التلاشي في الحضورُ
ها انا أُشرقُ حتى في الغيابُ
طابَ طعمُ المرِّ طابُ
هاتِ غليونَ السرابِ
إنني أعددتُ أعوادَ الثقابِ

الحزام الناسف

ما هو المدهشُ إن كانَ الإزارُ
 يحضنُ البارودَ عشقاً لعناقٍ في انفجارِ
 كانَ في خصري صديقاً
 يجعلُ الأعداءَ أشلاءً احتضارِ
 كانَ إن أودى بروحي لا أبالي
 فهو مكنون احتمالي وزوالي باكتمالي
 مدركاً أني فتحتُ الكوةَ -الأحلامَ في وسطِ الجدارِ
 كانَ توقيتُ الوميضِ
 مثلَ برقي لاحتِمالاتِ انتصارِ
 وصراخاً كجوابٍ عن سؤالي
 عن جنایاتِ اعتقالي واعتزالي وارتحالي
 لسجونِ الاحتلالِ

إنه اليومَ النقيضُ
 أفعوانٌ في دروبي مثلُ ميقاتِ المماتِ
 كي يحددُ الكوكبُ الدرِّيُّ عن سمتِ المدارِ
 أو كديدانِ الحضيضِ
 وسطَ قبرٍ تتبارى بانغماسٍ بالفتاتِ
 كالسُّكاري وسطَ نهشٍ للرفاتِ
 ها هنا يلتفُ بالصدرِ البغيضِ
 ويبثُّ السمَّ في الماءِ الفراتِ
 جامحاً والحقْدُ أعمى
 كي يؤوّلَ الفجرُ وهما
 يجعلُ النورَ وبالاً
 والأغاني كالصديْدُ
 في جراحِ الأمنياتِ
 غيرَ أنّي أستعيدُ
 رنةَ الإيقاعِ كي أحيي النشيْدُ

عاشقُ الأضواءِ بالنورِ يفيضُ
مجدُّهُ أنْ سوفَ يعلو بجناحٍ مرهقٍ شهيمٍ مهيضُ
إنني باكرتُ صبحي صادقاً وجداً ظلالاً
سوفَ يأتي ذلك الفجرُ المرجى مثلَ عيدٍ
يرشقُ الوادي ظلالاً... وحناناً... وجمالاً
والذينَ تمرَّغوا بالطينِ دوداً وسطَ إيقاعِ بليدٍ
لن يكونوا في سنا الفجرِ احتمالاً
إنهم دودٌ، وفجري في شعاعِ الضوءِ صالاً...
للجميلين ابتهالاً...
يتغنى... طهرَ وجدٍ
للجميلين ابتهالاً...

حوارية الدم والعطر

قال قلبي بعد آه بالوجيفِ:

حين أمسى القولُ كالموت مُباحا:

لم يُعد في الكون من شيءٍ مخيفِ

قد تعودنا على النصلِ الرهيفِ

نتلقى الطعناتُ

حانياتٍ وادعاتُ

مثلَ أمطار الخريفِ

قال قلبي بعد آه بالوجيفِ:

باتَ ما حولي نُواحا

وعويلاً وجراحا...

غير أنَّ البسماتُ

لم تزل فوقَ الشفاهِ الراعشاتُ

لكأن القصفَ والتفجيرَ أصداءُ رنينُ

كمزاحاتِ الطريفِ
 أو "كمكياج" السنينُ
 بطلاء الغانياتُ
 إنّه عصرُ الصداقاتِ البهيّةُ
 بينَ أعناقِ وسيفِ
 وبكاراتُ سبايا في رحي الحربِ هدايا
 لولوجِ في العفيفِ
 كندی العهرِ الشريفِ
 قال علّ العصرَ باتُ
 عصرَ حلمِ المعجزاتِ
 هاك نحنُ اليومَ نسقي بغباءِ صامتينُ
 تربةَ القهرِ بشريانِ الأنينُ
 ربما بعدَ سنينُ
 يورقُ الليلُ صباحاً...
 غيرَ أنّي حينَ مرّت عاصفاتُ

ساحقات طاحنات

تملاً الوادي غباراً ودماءً ورياحا

قلتُ للنفسِ تَمَنِّي!

ورجائي أن يكونَ النطقُ كالتبرِ المُصاغِ

قالتِ النفسُ: سَمَاحا ...

بعد أن تقضي على سُمِّ الأفاعي المستساعِ

عندها انساحَ وُلوعي

وعذاباتُ ارتعاشاتي انسياحا

وبدا الحلمُ المُرجى للغدِ الآتي جَناحا

قالَ لي سيحلُّ وقتٌ قاهرٌ تشتاقُ للخبزِ-الرغيفِ

ثم يأتي طائرُ الرعدِ اجتياحا

يُمطرُ الأرضَ سلاماً ووروداً للتناغي...

أه ناغي

يا فؤادي بوعودِ وابتساماتِ ملاحا

ونداءٍ للتآخي مثل تهليلٍ بهيجِ

إنني أستلُّ غصنَ الوردِ مِن غمدِ الأريجِ
 حانيا يهمي سناً بالبوح طاعِ
 يُسكِرُ الدنيا بشدوِ رائقِ بالعشقِ باحا
 لا زبيراً وسطَّ غابٍ لا عواءٍ أو نباحا
 وبديلاً عن دمارٍ ودماءٍ ودخانٍ في الفراغِ
 يرشقُ الترحابَ والودَّ وشاحا
 فاصغِ إن الكونَ صاغِ
 أيها الموبوءُ دوما بالرواغِ¹
 املاً الأفقَ بزنديكِ جراحا
 كدِّسِ الأوكارَ مكرراً وظلاماً وسيوفاً ورمِاحا
 لن تنالَ سوى دوارٍ في الدماغِ
 أيُّها المهووسُ بالدمِّ جهاداً ونكاحا
 سوفَ يأتِيكَ بلاغي:
 إنّما النصرُ بكفِّ
 تحمِلُ الحبَّ سلاحا

¹- الرواغ = الخديعة، المكر

زغرودتان للدم

زغرودةٌ مسّت شغافَ الروح
 يومزفاف فائنة فرت منالعنس
 زغرودةٌ من كلّ شدو الكون أحلى
 زغرودةٌ كعويلٍ ثكلى
 زغرودةٌ تعدو على أفقي سناً كتقافزِ الفرسِ
 زغرودةٌ غصت بها عنقي
 مثل انحباس الآه في نفسي
 زغرودةٌ تطفو على ترنيمة الآتي-انتصار الخلق
 في ميلاد فجر الحبّ والقبسِ
 أو في وداع الطاهر الينبوع بشر الضوء كالغلسِ
 زغرودةٌ ماجت بواعثها
 يوم انتصار الداعر الرّجسِ
 زغرودةٌ تعلقو قذئ كتنفس العفن
 زغرودة مقبوضة الثمن
 تعلقو مباركةً جنون الحاقد النجسِ
 زغرودة كالسطع عطراً أن إكليل العروس

ز غرودة كالنَّطعِ بترًا أن تقطيع الرؤوس
 نوّاحةٌ كتأوهِ الشجنِ
 وأنينٍ ثاكلَةٍ وجيعٍ في سكوبِ الدمعِ منحبسِ
 ز غرودةٌ كتألقِ الإحساسِ أسعدتِ النفوسِ
 ز غرودةٌ كتعزِّقِ الأنجاسِ من شحذِ الفؤوسِ
 تبدو صنيعٌ غواييةٌ تحلو لمفترسِ
 وكمخلبٍ باللحمِ منغرسِ
 ز غرودةٌ باتتْ كطلسمِها
 ما بينَ مرتجفٍ ومنبجسِ
 ز غرودةٌ ظمأى تسيلُ دمًا
 ترثي القنيلِ وتُعلي كفتَ طاعنهِ
 كي تحتمي في غمدهِ من نصلهِ السلسِ
 قد يَنثرُ الأورادَ فوق القبرِ من أودى بساكنهِ
 والشكرُ من ثكلاه نهدٌ في يدِ العسسِ
 ز غرودة كصرييرِ أنيابِ تختال في بدني
 تصطك غانمةً دمًا في شذقِ مفترسِ
 وا حسرتي هل بات حتى الموتُ في وطني
 يزهو بظلِ القاتلِ الدنيسِ

عش في عيوني

خبأت عينايَ أعشاشَ الطفولةُ
 وبروحي لم يزلُ يحيا رفيفُ الأجنحةُ
 عندما كنا صغارا كان مفهوم البطولة
 موقفا تختال فيه قداسةً أصداءُ عزِّ
 كانت الأيمان بالصدق اليقين المرتجى
 تتلى على نثرات خُبز، مثل ميثاق الوفاء
 لم يكن يصدر عنا غير مكنون السجايا الصادحة
 زقزقات إن فرحنا أو غضبنا مثل صيحات الإوزِ
 عندما كُنا صغارا نتشاقى مثلَ حباتِ الخرزِ
 في انفراطِ العقدِ وسط المسبحةِ
 وأنا اليوم نداءً يقتفي عهدَ الحنينِ
 لم أزلُ أحيا وعشُّ في عيوني
 كان مفهومُ الرجولة

قدرة الصبر ولو وسطَ الرحي
 أن نعدَّ الصفعاتُ
 وهي تهوي مثل عُنفِ المِرْوَحَةِ
 من صديقٍ إذ يُحاكي صِنْعَةَ الجَلادِ باللطمِ اللعينِ
 عشراتٍ عشراتِ
 ووجيعِ الرَكَلاتِ
 عشراتٍ عشراتِ
 دون أن نَسألَ يوماً هل تُرى قد جَرَّحَهُ
 كي نُباهي أننا بالسِرِّ حتماً لن نبوحُ
 إن تمادوا في عذاباتِ السجونِ
 كانَ مفهومُ البطولةِ
 إن تخاصمنا... كلاماً نتحدى كي نقولهُ
 كانتِ الأحقادُ سطرأً
 إن نُسجِلُهُ امّحى
 كانتِ الأيدي وشتَمُ الأمِّ أقسى الأسلحةِ

كنتُ أخفي عن أبي وجهي المُدْمَى
 وانتفاخَ الجفنِ أو رضَّ الشفاهُ
 لم أكنُ أصرخُ آه
 كنتُ أرميهم إلى الأرضِ وحيناً يطرحونني
 غيرَ أنا في الصباحِ
 نغمرُ الألعابَ بالحبِّ الجُنوني
 دائماً كانوا عسافيرَ الرفيفِ الحلو في قلبي
 وكان العشُّ دوماً في عيوني
 العسافيرُ تنامى ريشها مثلَ الذوائبِ
 والمناقيرُ انعقافُ وسَطَ صدري والمخالبُ
 زقزقاتِ الأمس قد باتت زعيقا
 وسطِ ساحاتِ الجنونِ
 وصنابيرِ الدماءِ الجامحةُ
 والتحياتِ فحيحُ والأكفُ هي النصالُ الجارحةُ
 يطعنُ الرابتُ فوقَ الظهرِ ظهرَ

الحُبِّ مكرأ كالثعالب

يبترُ الكفَّ الذي قد صافحه

أينَ مني طيبُ شتمِ البارحة

وخصامُ كانَ أشهى من قميءِ الصلح

يدنو لتخومِ الجائحة

ليتهمُ كالأمسِ حيناً يصرعوني

إنهم في روحِ روجي جرّحوني

بالجنزاتِ التي فاضتْ زماناً

عن حشودِ الأضرحة

بالتكالي واليتامى والخرائب

ببياناتِ الأفاعي وبأقلامِ العقارب

وبراياتِ انتصاراتِ المنون

ينهشونَ الآنَ أعمق

كلّما أدعو إلى وردٍ أحرّق

مثلما تلتفُّ شالاتِ الشواء

فوقَ عنقِ الرَّائِحَةِ

كَلَّمَا أَدْعُو إِلَى وَدِّ أُمَزَّقُ

تَرْقِصُ الْآنَ عَلَى الْأَشْلَاءِ سَالُومِي وَيَدْحُو النَّاسَ

أَضْلَاعَ الْبَهِيِّ الطَّهْرَ دَحْيَا

فِي خِلَافٍ حَوْلَ اسْمِ الطَّاهِرِ الْمَقْتُولِ

... بَيْنَ يَوْحَنَّا وَيَحْيِي

مِثْلَ أَحْكَامِ تَلَاهَا الرَّبُّ وَحْيَا

فِي سَنَا اللَّوْحِ الْمُعَلَّقِ

لِعَصَافِيرِ الْغُصُونِ

إِنِّي مَا زَالْتُ أُعَشِّقُ

كُلُّ مَأْسَاتِي بَأْنِي لَمْ أَزَلْ أَحْيَا

وَعَشُّ فِي عُيُونِي

افرد جناحيك

إلى روح الصديق الحبيب الشهيد الطيار المتقاعد
هايل خلف (أبو أسامة) الذي اغتاله الإرهابيون حين
كان عضوا نشيطا في لجنة المصالحة.
أمثالك لا يرحلون بل يغدون أوسمة على صدر
الوطن

افردُ جناحيكَ قد حنَّتْ لكِ الأجواءُ

للناسِ أرضٌ مدىٌّ وللنورِ سماءُ

حاورتَهُم بلسانِ الحبِّ هلِ وطنٌ

يحيا إذا نبضُهُ في القلبِ بغضاءُ

يا هائلاً بوميضِ الصِّدْقِ في حُدُقِ

والبرقِ يهجُرنا ومضاً أوانَ يُضاءُ

يا "هائلاً" بودادِ الطبعِ، أذهلنا

أنَّ الأحبةَ فيما بينَهُم أعداءُ

لم يفهموا أنهم قد عاجلوا رجلاً
 قد سال من جرحه طهرُ سما ووفاءُ
 ذكراكَ شهقتنا حيناً وزفرتنا
 أنتَ التنفسُ لي والذكرياتُ هواءُ
 وصوتك العذبُ كالإنشادِ أسمعُهُ
 من كلِّ صوبٍ كأنَّ الكونَ أصداءُ
 نَمَّ يا صديقي جثماناً يُضيءُ لنا
 بالروحِ درباً، حُطى الأرواحُ أضواءُ
 ثمحى وإن حُطتِ الأسماءُ من ذهبٍ
 إلا الشهيدَ الذي خطتهُ منه دِماءُ
 مجدُّ الشهيدِ عطاءً مطلقُ عجزتُ
 عنه الرؤى وكنوزُ الأرضِ والكرماءُ
 لا يهجرُ النسرُ عشَّ العشقِ أضرمه
 أنَّ الحياةَ بهِ والموتَ فيه سواءُ

إِنَّ الْفِدَاءَ إِذَا تَرْجَمْتَ أَحْرَفَهُ
 تَبْلَى وَمَعْنَاهُ فِي كُلِّ اللِّغَاتِ فِدَاءٌ
 رَمْزاً غَدَاً تَوْقِظُ التَّارِيخَ جِبْهَتَهُ
 حَتَّى تَعُودَ بِهِ فَجْراً لَنَا الْعِنْقَاءُ
 إِلَيَّ أَلُوذُ بِصَمْتِ الْكُونِ يَقْرَأُنِي
 بَوْحاً جَلِيلَ الْأَسَى إِذْ لَا يَبُوحُ بُكَاءُ

الفجر عين

الليلُ جفنٌ مُطيقٌ
 والفجرُ عندَ بزوغِهِ إنسانُ عينُ
 فافتحْ جفونَكَ مرَّةً لو بينَ بينُ
 كي تستبينُ
 اشعاعَ شمسِ العاشقينِ
 لا بدَّ أنْ يأتي إلينا ذلكَ الفرخُ المُرجى
 كي يرشقَ الواديَ ظلالاً وحناناً وجمالاً
 شطبتُ من القاموسِ أحلامي المُحالا
 سأظلُّ احلمُ بالنهارِ
 وسأرْجِعُ الرmqَ الأخيرَ لِخُطوتينِ
 فأنا أعيشُ الانتظارَ
 إني نقيضُ الموتِ ضدُّ الاحتضارِ

مُتُّ أَنْتَ مُتُّ

إِنْ شِئْتَ مُتُّ

فَأَلَّكُمْ تَمَلَّكَ الْأَنْبِيَاءُ

وَأَلَّكُمْ تَقَمَّصْتَ النَّوَاحِ

أَمَا أَنَا فَلَيْ الصَّبَاحِ

وَشِعَاعُهُ غَطَى الْجَبِينِ

فَاللَّيْلُ جَفَنُ مُطْبِقِ

وَالْفَجْرُ عِنْدَ بَزْوَعِهِ إِنْسَانُ عَيْنِ

كلُّ المنى أن أكونك

دَمِي لَمْ يَزَلْ وَسْطَ زَنْدِيكَ دَفَقَ الرُّؤْيَ كِي يُعِينَكَ
 فَكَمْ حَاوَلُوا فَصَدَهَ عَنوَةً كِي يذَلُوا عَرِيْنَكَ
 حَنَانِيكَ فَانْهَضْ كَفِيضِ الصَّبَاحَاتِ وَارْفَعْ جَبِيْنَكَ
 أَتَوَا بِالْأَفَاعِي لِعَشْبِ الضَّفَافِ
 يَدِي حَطَّمَتْ كَأَسْهَمِ بِالرُّعَافِ
 لِيَبْقَى بِنُغْرِكَ شَهْدُ الْعَفَافِ
 لَقَدْ أَنَا لِي أَنْ أَوْقَى دُيُونَكَ
 وَجِيفِي فَوَادِي وَرُوحِي دُونَكَ
 وَشَلَّتْ يَدِي إِنْ تُجَافِي شُجُونَكَ
 هِيَ الدَّرْعُ قَدْ خُلِقَتْ كِي تَصُونَكَ
 أَنَا حَارِسُ الضَّوْءِ وَسْطَ اللَّيَالِي سَمِيرُ سَمَائِكَ
 أُغْنِيكَ رُوحاً وَلَا أَبْتَغِي مَنَحَةً مِنْ عَطَائِكَ
 وَحِينَ الْمَرَابُونَ بَاعُواكَ بِتُّ الصَّدَى فِي نَدَائِكَ
 يَدِي رَايَةُ الْفَجْرِ لَوْ نُ الرُّعَافِ

ستحميك حصناً منيعَ الحوافِ
 إذا ناوشتك النصالُ الرهافُ
 لقد أن لي أن أوقّي ديونكُ
 فأنت الطهورُ وهم يرمونكُ
 فإن حاولوا أن يزيحوا حصونكُ
 سأمحو سُدًى من أتى كي يخونكُ
 لقد كنتني حلمَ فجرٍ جميلٍ يُغني جفونكُ
 وكنت انتصاري على القحطِ برقاً تملئ عيونكُ
 وكنت الجذورَ التي أروضتني فكنثُ عُصونكُ
 دمي لم يزل وسطَ زنديكِ دفقَ الرؤى كي يُعينكُ
 فإن أنحلَّتكَ الرياحُ الجفافُ
 وأضناكِ سقمُ السنين العجافُ
 ستكفي لقيماتُ خبز الكفافُ
 فقد أن لي أن أوقّي ديونكُ
 ستحيا وإن هُم أباحوا منونكُ
 وإن هُم أتوا بالمدي يطعنونكُ
 فكلُّ المنى عندها أن أكونكُ

انهض

هذا زمنُ الحضِّ على الرفضِ
 حلمٌ كالنسرِ رؤىً ينقضُّ
 كجنونِ البحرِ المضطربِ
 يهتاجُ بأمطارِ الشُّهبِ
 تحتلُّ زحوفٌ من سكانِ الجنسِ الخشبي
 الساحاتِ الكبرى
 تزدادُ هديرًا لا تنقضُّ
 تتهدى وسطَ شوارعِ هذا العالمِ كالبُشري
 بجموعٍ تترى
 قد صنَّفها جنسُ الأشرافِ كفضلةٍ خلقٍ مبتور
 من غيرِ جبينِ
 لا تصلحُ إلا طعمًا للأسماكِ كدودِ الأرضِ

إِبَانٌ تَخْطَى مَشْرُوعَ الْمِلْيَارِ الذَّهْبِيِّ¹
 آفَاقَ خَطُوطِ الطُّولِ وَأَتْبَعَهَا بِخَطُوطِ العَرَضِ
 حَلْمٌ يَنْقُضُ
 فَاصْرُخْ وَانْهَضْ
 كُنْ أَنْتَ النَّبِضُ
 لَا تَرْضَ بِأَنَّ تَتَجَدَّلَ وَسَطَ سَجَلَاتِ التَّدْجِينِ
 فَلَعَلَّ المَصَلَ سَوَارُ كَمِينِ
 سَيَكُونُ عَلَيْكَ بِأَنَّ تَمَرَضَ
 حَتَّى يُفْنِي الفَيروسُ الكَمَّ الهَائِلَ
 كِي يَبْقَى البَعْضُ
 المِلْيَارُ الذَّهْبِيُّ الأَبْعَضُ
 فَائِنِ الرِّكْبَةَ وَانْهَضْ

1- فكرة المليار الذهبي ليست جديدة ولكنها تتجدد بقوة، وتعتمد على أن موارد الكرة الأرضية لا تكفي لعدد سكانها (7 مليار) الذي يجب تقليصه إلى النصف بحيث يتميز فيه مليار "ذهبي" من كبار الأغنياء وبشكل خاص في أوروبا وأمريكا، وذلك عن طريق تشجيع الحروب، والفساد، ومنع مساعدة اقتصادات الدول الفقيرة، ونشر الأوبئة (التي تخرج أحيانا عن السيطرة)، وتعطيل إنجاب الأطفال، وصولا إلى إنشاء دولة عالمية واحدة تستخدم عملة واحدة!!! ويمكن الإبقاء على مليارين أو ثلاثة مليارات من العبيد تماما! ليتابعوا إنتاج المواد الغذائية، ووسائل الرفاهية لمجتمع "التخمة!!!"

لتعيدَ إلى التاريخِ صفاءَ الحرفِ
 وللأحداثِ بهاءَ التلوينِ
 أنتَ المقهورُ وكم قاتلتَ بسيفِ
 قد نزعوا منه المِقْبَضُ
 بدماءِ أَكْفَكِ سوف تُسْرِعُ مجدَ نقاءِ التَّدوينِ
 في سفرِ حضاراتِ الماضينَ
 ومجدِ حضاراتِ الآتينِ
 فانهضُ

وانزعِ إكليلَ الشوكِ عذابكُ يكفي ألفَ نبي
 واخلعِ لشعاعِ الشمسِ قميصكُ دونَ أنينِ
 أنتَ أبي

كيلا تتمرى أحداقُ حثالاتِ الكونِ برسمِ سياطِ الغدرِ
 على ظهرِكِ مثلَ التَّينِ
 ستظنُّ النُخبَةُ أَنَّك-ظَهَرَكَ-وشمكُ إعجازُ

في لوحةِ سوريالٍ خطَّتها ريشةُ فنانٍ عَصبي

تتغاوى وسَطَ المعرَضِ
 لوحَةُ "عدلِ" الجنسِ الذهبي
 بمزادِ النُخبَةِ قد تُعرَضُ
 ليُعلَقَ جلدُكَ في صالونِ التخمَةِ للتزيينِ

* * *

ما زالتْ تنهشُ روحَكَ أنيابُ البُعضِ
 مذ غَضَّ شريكُ الوحشِ الطرفِ
 أو انقضَّ القرشُ على الدلفينِ
 الجسمُ ارتضَّ بضربِ الكَفِّ البضِ
 بحقدِ مجانيينِ
 تنسلُّ الطعنةُ في خاصرةِ الجسدِ الغضِ
 ما دمتَ على مرأى التاريخِ طعينِ
 كن أنتَ الجرحِ القاضمِ أطرافِ السكينِ
 أسمعنَّ عن جرحِ ثارِ على السكينِ وعضِّ
 لا تسقطِ... اثنِ الركبةِ وانهضِ

وتجلدُ إنَّ اللهَ اليومَ حزينُ

هو لن يتبسّمَ حتى يُدركَ أنَّ الطفلَ القادمَ

لن يُجهَضَ

فأرفضُ أن توضعَ في خاناتِ البائسِ والمسكينِ

كم كنتَ قتيلاً كم عشتَ شريداً أو محضَ سجينِ

اللعبةُ ما زالتُ في الجوهرِ بينَ يسارٍ ويمينِ

فانهضُ

وابنِ الجنّةِ فوقَ الأرضِ

واتركُ للمهوسينِ بحُمى الجنسِ

الغلمانَ الصبيانَ

وحورَ العينِ

سنظلُّ جياذُ النورِ تجوبُ مراعي الفجرِ

ولن تتروّضَ

القاطنُ في دكانِ البيتِ الطباشورِ

يتفاخِرُ أنْ قد باعَ القدسَ لكهانِ المخفَرِ

في هذا المتجرُ
 سيباغُ رخيصاً معنى النورِ
 بشهادة زورُ
 حتى الساطعُ مثل شعاعِ الشمسِ سيُدَحَضُ
 الثائرُ أضحى العاهر
 المومسُ أضحتْ مِيزَرُ¹
 جزائرُ أنتَ بلا مِيزَرُ
 حاولتَ وما أركعتَ بنصلِ الجوعِ ربوعَ الشامِ
 فعاجلتَ بساطورِ السِيزَرُ²
 ما ماتَ الشعبُ سلِ التاريخِ
 فَمَنْ قد ماتَ هو القِيسَرُ
 قد أنْ بأنْ نطردَ كلَّ الحيواناتِ الموبوءةِ

1- مِيزَرُ : العفاف

2- المقصود بـسيزر – رجل الأمن الذي نقل آلاف الصور عن انتهاكات السجون السورية إلى الكونغرس الأمريكي عام 2013، وقد اقر قانون العقوبات على سورية نتيجة ذلك عام 2019، وحمل القانون اسمه وبدأ يعاني منه الشعب السوري تحديداً!!!!... أما استخدام الإسقاط على القيصر في القصيدة فيقصد من يضحده الشعوب بحجج مختلفة عموماً بما في ذلك عبر قانون سيزر (فالذي يجب أن يحاسب في مثل هذه الحالات – بعد التأكد من مصداقية الصور-هو السلطة وليس الشعب!!!)

من هذا المرَبَضُ

قد آنَ الحِينُ يَحِينُ

ها إِنَّ البرقَ الواعدَ بالمطرِ المخصابِ

أضاءَ جموحكُ ... أومضُ

فائنَ الركبَةَ وانهضُ

وارفعَ علمَ العُشّاقِ خَفوقاً أنتَ مُفَوِّضُ

باسمِ العدلِ الأُممِيِّ القادِمِ في أنفاسِ القرنِ

الواحدِ والعشرينِ

من كلِّ شعوبِ الأرضِ مُفَوِّضُ

أنَ تغرُسَهُ كالفرحةِ فوقَ مقرِّ البيتِ الأبيَضِ

* * * * *

سلاماً مُظفراً

حنانيكَ وِجداً وحباً إليكَ
 كاني كما الأمس أدنو لكي التقيق
 يدي لم تزل في يديك
 أنا لستُ أبكيكُ
 ويأبى لساني مقالاً: وداعا
 فأمثالُك الرائعونُ
 سيبقونَ في العصرِ دهرأً وأكثرُ
 سلاماً مُظفراً
 لقد كانَ إنشادُكَ الحلوُ يومِي إلينا
 كمنديلِ رؤيا ودرِبِ مُجنزِرِ
 ويمتدُّ فينا كخمرٍ مُقطرٍ
 لكي نلمحَ الحلمَ أشهى وأنضرِ

وكالمخرزِ الصلبِ يُفري حقاراتِ كرشٍ تكوّر
 ويختالُ قصفاً لقصرٍ وعسكراً
 وينسابُ برقاً ليرفو جراحَ الغماماتِ سكباً
 بخيطِ مدادا بوعدٍ مؤزراً
 فتتدى كحلِمٍ على الأفقِ أحمرُ
 وكم بتّ فينا رعوداً وأمطرُ
 شهياً تغني لخضبٍ تخنُّرُ
 كصخرٍ سيندى مع الشعرِ حلماً بهياً ويخضّرُ
 تهابُ الزنازينُ سوطاً نما في لسانِك
 صهيلاً، نشيداً تلاه الصدى كالمدى في عنانِك
 شراراتِ زحفٍ بوقعِ السنابِك
 وأنشودةٍ من صهيلٍ سما من حصانِك
 حشودُ الجراحِ التي أثنختُ فوقَ ظهرِ الرفاقِ
 بدت كالأقاحِ التي شعشعتُ وسطَ صدرِ العراقِ
 كصبحٍ على كلّ ثغرٍ تهادى وأزهزُ

يَهْزُ العروشَ ازدرَاءَ وَيَسْخَرُ
سلاماً مُظْفَرً

ستبقى شعاراً بك الشعبُ يفخرُ
لذا لن أقولَ وداعاً

سلاماً على روحك الرائعة

على كلِّ شوكٍ رميتُ

بِوسَطِ الطريقِ

لَتُدْمِي خطأ الأنفسِ الخائعة

أمامَ الهراواتِ أو وسطَ مخفرِ

سيعلو النشيدُ بإيقاعِ صبحٍ بهيِّ مُعَطَّرِ

سلاماً سلاماً، سلاماً مُظْفَرً

أغلق الباب وراءك

(في رثاء رمز الأوفياء فيديل كاسترو)

من جبال الطهر "سييرا"

نحو هافانا الأسيرة

وقعَ حَطوٍ مثل نبضٍ وزنودٌ تتنادى

رافعاتٍ نحو فجر الحُبِّ بالرؤيا لواءكُ

حَمَلتُ في جُعبةِ الأزمانِ ريحُ تتهادى

وعدَّ عهدٍ كالمدى المأمولِ رعدياً نداءكُ

بِتَّ سمتاً لعيونِ الشعبِ ميثاقَ المسيرة

نحو مجدٍ حاصرتُ أزهاره كفُّ الحضاراتِ الحقيرة

وهيَ تسعى أن تجافي عنوةً حتى هواءكُ

غيرَ أنَّ القهرَ لم يخدشَ وفاءكُ

شامخاً تعلقو جبينَ المستحيلِ

حاولتُكَ الكاهناتُ

قادماتٍ من بديلِ

حينَ باعتُ شفيتها لحمي الكأسِ الذليلِ

وتخلَّى عنكُ سمسارُ الصقيعِ

وَهُوَ يَدْرِي أَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ
 أَنْ يُخَيِّفَ الْفَجَرَ فِي عَيْنِ الدَّلِيلِ
 كِي يَذَلَّ الْمَكْرُ مَحْمُومًا إِبَاءَكَ
 كَمْ تَهَاوَى الْحَاقِدُونَ
 حَاولُوا مَا طَاولُوا حَتَّى حِذَاءَكَ
 لَمْ يَعْذُ فِي شَرْفَةِ الْعَصْرِ أَمِيرُ الْأَنْقِيَاءِ
 عُظْمَاءُ الْعَصْرِ وَلَوْ رَائِعِينَ
 رَبِّمَا يَأْتِي عَظِيمٌ بَعْدَ حِينٍ
 جَامِحًا مُسْتَلْهِمًا مِنْكَ عَطَاءَكَ
 يَحْمَلُ الْأَمَالَ مِثْلَ الطَّلَعِ لِلزَّهْرِ الْحَزِينِ
 رَبِّمَا بَعْدَ سَنِينَ...
 فَوَدَاعًا أَيُّهَا الرَّمْزُ الْأَمِينُ
 هَا هُوَ التَّارِيخُ مَذْ غَادَرْتَ رَمزًا لَا يَلِينُ
 وَاجْمًا أَدَى تَحِيَّاتِ الْعِزَاءِ
 وَطَوَى سَفْرَ الْأَبَاءِ
 سَارَ خَلْفَ النَعَشِ إِجْلَالًا وَعَادُ
 أَغْلَقَ الْبَابَ وَرَاءَكَ

تحية لذكرى البطل شكري بلعيد¹

سلاماً أيُّها البطلُ
 لروحك يُمطرُ الأملُ
 لمجدك تبرِّقُ المقلُ
 وما قتلوك هم قُتلوا
 بوصمةٍ عارهم قُتلوا
 سلاماً أيُّها البطلُ
 بلى في البالِ جرحٌ ليسَ يندملُ
 ألا تبتُّ يدُ الأندالِ والمكرِ
 سيندى صوتُك القدوسُ كاللقيا
 وأقدسِ شعلةٍ للروح والفكرِ
 وتبقى ضوءَ حلمِ الشعبِ كالرؤيا

¹- شكري بلعيد مناضل تونسي يساري ماركسي لينيني والأمين العام لحزب الوطنيين الديمقراطيين، اغتالته القوى الرجعية أمام منزله - والأرجح الأخوان المسلمون- في 8 فبراير شباط 2013

وأغنيةً بثغر الضوء والشعر
 وتهمي وسطاً قحطِ الدربِ كالسقيا
 سيأتي يومٌ أن تأتي كحمره غرة الفجر
 لتونسَ كانتصار العيدُ
 سلاماً من وجيفِ القلبِ يا شكري
 أراك تقربُ الزمنَ البعيدُ
 ليأتي عيشنا الحلو الرعيدُ
 وأصداءُ تُناغي تونسَ الخضراءَ تملو كالنشيدي
 سلاماً من وجيفِ القلبِ يا بلعيدُ

اقطع

اقطع... اقطع... لن تردع

سأشير إليك

يا من يتغوى فوق مزابل قيء الوقت
كعرف الديك

وعلى أنيابك لحم بنيك

باسم الدين تُدين

أنت الأفظع

من يُرضيك؟

يا صاحب حمامات الدم ولن ترويك

اقطع...

لم يبق سوى ذاك الإصبع

يتحدّى مُرتجًا ويدين يديك

اقطع

إني بلساني الصارخ سأعريك

سروال العهر يلوح بكفك مثل البيرق

لحضارة طربوش التتريك
 سيظلُّ لساني يهتفُ تسقطُ في المُستَنقَعِ
 وكقَوَادِ سيناديكُ
 إن لساني الطاهرُ أروغ
 اشلُغ... اشلُغ
 بعُيونِي محتدأً سادلُّ الناسَ على المِبضَعِ
 وعلى كفيكُ
 افقأ... افقأ
 ها إنِّي دامٍ لكني كالنخلِ الشامخِ لم أركعُ
 ما دام الموتُ وشيكُ
 سأوجهُ نحوكَ ما لم تقطعُ
 لم يبقَ سواهُ يشيرُ إليكُ
 لا تترددُ
 اقطع... اقطع
 وأنا باسمِ الصرعى باسمِ الجوعى
 في هذي اللحظةِ يا "أفعى"
 ...سأبولُ عليكُ

الروح فداؤك يا سَقَلْب

قُدوسُ قَبْرُ يَحضُنُ أَجسادَ الأَطهارِ،
 قُدوسُ خَضْبُكِ يا سَقَلْبُ¹
 يَمْتَرِجُ بِنَهْرِ دَمِ الأَحْرازِ
 في بَحْرِ النَخوَةِ كي يُسْكَبُ
 هَذا لَوْنُ الفَجْرِ الأَطْهَرِ
 يَتَمَواجُ فوْقَ جَبِينِكَ إِكْليلاً مِنْ عازِ
 تَحْني الأَمْجادِ الهامَ لَنْبَعِ نَقائِكَ كي تَشْرَبُ
 ورؤى الأرواحِ تُزَيِّنُ بالياقوتِ جَبِيناً يَفْخَرُ
 بِكَ يا تاجَ الغابِ الأَخْصَبِ
 وشِهابُ الألقِ أَضاءتْ ليلَكَ حتى نَوَّرَ
 مَعَ كُلِّ شَهِيدٍ يَرحلُ
 يولَدُ وَسَطَ سَمائِكَ كوكَبُ

¹- شعبيًا كثيرًا ما يتردد اسم سَقَلْب ويقصد سَقِيلِيَّة

ما أبهى خصرَكَ يتحدَى زنَّارَ النارِ
 حتى التاريخُ يقرُّ بأنَّكَ درعُ صلدٍ لا يُقَهَرُ¹
 نحن اليوم نعاني
 من زوبعةِ الرملِ الأحقرِ
 الأصفرُ ضدُّ الأخضرِ
 الياسُ ضدُّ الأنصرِ
 قدَرُ الحاضرةِ الأرقى
 أن تسحقَ زحفَ سحالي الباديةِ الأشقى
 السوريُّ إلهٌ يدفعُ ثمنَ جنونِ المِخلَبِ
 طاعونِ الجرذِ الأجرَبِ
 إني أركعُ للزغردةِ
 وهي تودِّعُ فِلذاتِ الأكبادِ
 وزنودٍ شدَّتْ قبضتَها
 تُعلنُ أنْ قدْ باتتْ أصلبُ
 صدري يا سوريةُّ

¹ - معنى سقيلبية أو سقلبو بالأرامية: العنيد، الصلد، المقاوم

بهو كنيسة قَدَّاسِ الأَمْجَاد¹

يصدحُ بِنْدَاءٍ وَرِثَاءٍ

قَلْبِي نَاقوسٌ يقرعُ إيقاعاً برنينِ حدادٍ

ويفأخرُ يُعلنُ أَنَّكَ عرشُ إِبَاءٍ

الْحُبِّ لَنَا أَقْصَى مَطْلَبُ

وَالرُّوحُ فِدَاؤُكَ يَا سَقْلَبُ.

- تعرضت بلدات ريف حماة باستمرار إلى قصف التكفيريين
ما أسفر عن سقوط شهداء كثيرين بمن فيهم أطفال ونساء
كل بضعة أيام

¹- المقصود بالكنيسة هنا مبنى العبادة

يا من

(في إطار الحرب المجنونة التي عايشها الوطن، كثيرا ما يقتل الشباب على أيد مجرمة في أماكن مجهولة نائية، ويدفنون ككفريات، ولا يودع الأهل، والأمهات جثامين أحبّتهم)

يا من أتى مذ غابَ أغنيةً تُردِّدها المساءاتُ طويلا
 إني رأيتُ على المَدَى ما لا يُرى حُلماً خَضِيلا
 وهجاً تَقَمَّصَ فارساً وحصانُهُ أبدأ يُراقصُ مُستحيلا
 يعدو على آفاقنا خَبِبا وينثرُ من سنايِكِهِ النجومَ
 ولدي حبيبي لآخَ لي خلفَ الوجومِ
 ورمى إليَّ بنظرةٍ فَهَمَّتْ رِهامُ الشوقِ
 حتى أنبَتَتْ قحطي حَقولا
 ودنا إليَّ بظله وانساحَ من حولي يحومُ

موجُ يباعِدُنَا هنا كو عيدِ وحشِ
 فغدوت فوق الماء أمشي
 يهفو إليّ وكالرذاذ يهيمُ رعشي
 لكأنني شاهدتُ طيفَ الله يغشاهُ حلولا
 يا من أتى مُذ غابَ أغنيةً تردّها المساءاتُ طويلا
 يا من أعادَ لرونقِ الزمنِ الأصيلِ ضياءهُ
 وعلا ذراعَ الوقتِ وشماً يستعيدُ بهاءهُ
 فبكى الزمانُ لفقدِهِ نَعْساً خجولا
 إني أضمُّ قميصكَ المكونَ قربَ المغسلةِ
 كم أثلج المقدورِ صدري يومها
 مجدأً حلفتُ بأنني لن أغسلهُ
 لأكادُ فيه أراكَ كم لاحتُ لعيني الأخيلةِ
 فأضمتُهُ وأشمتُهُ وألّمهُ ويحوطُ وجهي رسمه
 ويضم آهاتي بعطف كمه
 يا سامعين الصوت

هذا القميص لفارس أنا أمه
 وبروح روعي سوف يحيا حلمه
 ما أجمله
 مذ جاءني خبرُ احتضاركُ
 ما عدتُ أفلتُ من إيساركُ
 جمعتُ حقائبَ دمعها آهاتُ عمري
 ثم آثرتُ الرّحيلًا
 في صرخةٍ شطّرتُ مدارَ الكونِ أصداءَ عويلا
 ما زارني الجثمانُ حتى ساعةً في صحنِ دارِكُ
 لم يدرِ مَنْ قتلوكَ أنّ وجيفَ قلبِ الأمِّ
 متكأً لكفِّ الله لا يُخطي السبيلا
 هل هم رموكَ كجثةٍ نحوَ العدمِ
 أم قدّسوا الجرحَ الذي أمسى كفّمِ
 غنى انتماءِ الأرضِ معطاءً بدمِ
 أتراهمُ ركلوكَ نحوَ الحفرةِ البلهائِ مخذولاً ذليلاً

أم أطلقوا في الجوّ أعيرةً ولفّوا

حديبةً التابوتِ مجدأً بالعلمِ

أتصايحوا: الله أكبر... أم تُرى قرعوا الطُّبولا

لوداع طيفِ الطُّهرِ قُدوساً جليلاً

شَتانَ بينَ شُجيرةِ الأشواكِ تُدمي كاحليكِ

وقامةٍ تسمو نخيلاً

هذا صياحكِ رددتُ أصداءهُ حارأنا طفلاً جميلاً

تعدو صغيراً خلفِ دولابِ جرى قلبي معه

وأراكِ في المرأةِ تندى كالطيوفِ الوداعةِ

أواه يا ولدي

حتى الزجاجِ يئنُ يشكو للظلالِ مواجعه

ونداءُ قلبي لم يزلْ يندى على شفةِ الزمَنِ

هذا سؤالي واضحِ ردوا شباكِ العنكبوتِ

وفككوا عن مسمعي شبكِ الخيوطِ

هل غسّلكِ بماءٍ وردٍ

ثمَّ ذرّوا فوقَ منكِبِكِ الحنوطُ
 يومَ السقوطِ...

يومَ انتصارِ الأخطبوطِ
 هل ألبسوكِ بياضَ أقماشِ الكفنِ
 أشكو لمن؟

هذا الوطن!

ومتى سيمنحني الدليلا

قولوا إذن:

حين اندفن

ولدي أنا...

هل في الثرى أغفى شهيداً... أم قتيلاً

الوطن والمنفى

أيا وطناً يُعذِّبني ضياعك وسطّ تيه
فأزرعُ نبضي الملهوفَ تحتَ خُطاكُ
وأزرعُ من مَسارِ سناكُ
فخاخاً لوهمٍ إذ يلتفُ مثلَ شباكُ
أشيرُ إليكَ مأخوذاً بمجدِ رؤاكُ
لظللَ ملاكُ
لكي يهديكُ
لربعِ بنيكُ
فقد ينئيكُ
عن الأحبابِ نابُ هلاكُ
بضوءِ شعٍّ من عيني
أنيرُ طريقكَ المُضني
لعلكَ في الدُجى تدنو وتلقاني
إلى لقياكَ مازجني

حِصَانِي مِثْلَمَا بَدَنِي
 عَنَانِي جَامِحٌ مِّن سَالِفِيكَ
 وَأَحْمِي حَلْمَكَ الْوَهَاجُ
 سِرَاعاً مِّن خِدَاعِ الرِّيحِ وَالْأَمْوَاجِ
 لَتَتَجُو مِّن حَبَائِلِ خَائِنِيكَ وَخَاطِفِيكَ
 وَلَكِنِّي أَرَاكَ مُسْرَبِلًا مَا بَيْنَ بَيْنِ
 تُحَاصِرُكَ الْعِمَائِمُ وَسَطَ مَاخُورٍ لِّعَيْنِ:
 بَخُورٌ يَحْجُبُ الرُّوْيَا يَشُدُّ جَبِينَكَ الشَّمَاخَ لِلتَّسْفِيهِ
 وَأَدْعِيَّةٌ مِّن الْكُهَّانِ فَاقَتْ مَحْفَلَ التَّأْلِيهِ
 وَفِي مِرَاةٍ أَرْمَانِي
 تُضَاجِكُنِي بِوَجْهِ خَامِدٍ وَحَزِينِ
 فَيَشْطُرُنِي إِلَى نَصْفَيْنِ
 أَنَا الصَّنُؤُ الَّذِي مَاتَلْتُهُ وَصَفَا
 أَنَا الشَّلُؤُ الَّذِي تَغْتَالَهُ عُنْفَا
 وَيَرْسِمُنِي هُنَا صَقَّيْنِ
 يُقَاتِلُ أَهْلُ هَذَا الصَّفِّ حِقْدًا ذَلِكَ الصَّفَا

ويطعنُ نصفِي الدامي جموحاً ذلك النِصفا
فأقتلني كمن للثأرِ قد صفَى
جريحاً بانتماءِ العشقِ لكني ربيبُ العشقِ لن أُسفى
وأغرقتني وفي رئتِي ملوحةُ بحركِ الأوفا
أنا ما غادرتُ سُفني جِما مرفاكَ حينَ رميتُ
بوابلِ جمرِ أهلِ الزيفِ أشرعتي
وما فارقتُ ما أتيتُ
ولكن كاجتياحِ الحُلمِ أبحرَ في دمي المرفا
أعيشُكَ إنْ صحوْتُ وإنْ غفوْتُ
وإنْ نطقْتُ وإنْ صمتُ وإنْ بكيتُ
تعايشُني بكلِّ مطارحِ الدنيا كأنفاسي وتسكُنني
وتجذبُني كأحلامِ مُلونةٍ إذا ما عنكَ تهتُ نأيتُ
وتنكرُني إذا يوماً إليك أتيتُ
لأنزعَ عنكَ سرَّ الرصدِ تنكرُني
تُداري الخادعينَ القلبَ... تزجرُني
وتسمعُهم وتُسكُنني

هُم الْبَلَوَى تُقَرَّبُهُمْ كَأَحْبَابٍ وَتُبْعِدُنِي
 دَمِي مَا زَالَ يَجْتَوِ عِنْدَ أَبَوَائِكَ
 دَمِي النِّيشَانُ فِي صَدْرِي وَيَنْدِي وَسَطَ أَثْوَابِكَ
 تَذَكَّرُ أَنَّهُمْ يَوْمًا
 سَتَحْفَرُ كَفُهُمْ قَبْرِي بِنَصْلِ حَرَابِ أُسْرَائِكَ
 فَيَا وَطَنًا أَضَمِّدُهُ وَيَطْعَنُنِي
 أَحْصِيئُهُ وَلَمْ أَخْفِي أَنَا بَوْحًا لَهُ أَصْفَى
 وَيَجْرَحُنِي بِمَا قَدْ بَاخَ يَجْرَحُنِي بِمَا أَخْفَى
 وَيَنْسَى أَنَّنِي الْأَنْقَى
 فَأَبْقَى مِثْلَمَا يَبْقَى
 جَرِيحًا نَصْفَ حَيٍّ نَصْفَ مَيِّتٍ
 لِمَاذَا أَنْتَ فِي رُوحِي لَصِيقًا كُلَّمَا أَنْفَى
 وَحِينَ أَعُودُ مِثْلَ تَضْرَعِ الزُّلْفَى
 إِلَى وَاوَدِيكَ يَا وَطَنِي
 أَحْسُ بِأَنَّي قَدْ عُدْتُ لِلْمَنْفَى

يا ليتني مزنة²⁶

حبيبتي دون ماءٍ طبعها سمكةٌ
 شمّخةٌ رغمَ قحطِ القَطْرِ كالمَلِكَةِ
 سنارةُ الغدرِ ما شلّتْ عزيمةَها
 حاكوا الجفافَ جبالاً حولها شبكةٌ
 تبدو السنايلُ تيراً فوقَ جبهتها
 والفجرُ عُرتُها سبحانَ من سبكه
 عطشانةٌ نهضتْ لم تنحني أبداً
 مَنْ يحجب الماءَ صنو الدمِّ قد سفكه
 يا ليتني مزنةٌ كالبشرِ تحملُها
 نسائمُ الخيرِ والتحنانِ والبركةِ
 اجتازُ وكرَ ذئابٍ جرّحتْ بلدي
 ولأعتصرَ مطراً يروي رُبي الحسكةَ

الأضحى

أدمى ديارَ الطُّهرِ نصلُ جدادِ
حزنٌ يفيضُ بمأتمِ الأعيادِ
العيدُ ذكري كان يومَ طفولتي
أرجوحةً حلوى وحقلَ وِدادِ
كانت تهانينا مرايا فرجنا
كترأفصِ الأحلامِ في الأمهادِ
واليومَ أمسينا كأشلاءِ الرؤى
وسط الشظايا مضغة الأحقادِ
ما همّني -إن كانَ عَيْشي مَيْتةً-
أن عاشَ فردوسَ الهنا أجدادي
ما همّني -إن كانَ ذلاً حاضري-
أن طالَ أسلافي ذرى الأمجادِ

ويقولُ أسيادُ الطواغيتِ انطفئْ
واصمتْ لكي تنجو من الأصفادِ
إنِّي أنا الصوتُ الذي لا ينطفي
مهما طغى جيشٌ من الأوغادِ
غطّى الفسادُ حياتنا حتى غدا
دربُ الصلاحِ شريعةُ الإفسادِ
كم من يهوذا في شوارعِ بلدتي
كم من صليبٍ شيدَ وسطَ فؤادي
اليومَ ترثينا الخرافُ فذبحنا
قد باتَ شرعاً حاسماً كجهادِ
هل جاءَ "أضحى" أم تُرى أضحى له
شعبي كأضحيةٍ من الأجسادِ
لم يبقَ نابٌ لم يلجَ في لحمنا
لم تبقَ نارٌ ما سعتْ لرمادي
إنِّي اخضرارُ الأرضِ بعدَ مواتها

لا يقتلُ الفينيقيَّ سربُ جرادٍ
 وأنا أرى أطفالنا-أكبادنا
 تمشي هنا مزقاً من الأكبادِ
 حسناً إذن سأكونُ محضَ قذيفةٍ
 إذ لا حياةَ لِمَن تظَلُّ تُنادي
 هذي الجياغُ كما الخيالُ جُسومُها
 أشباحُ أطفالٍ لها أولادي
 أنا كيفَ أصمتُ حينَ عيدِكِ ماتمَّ
 والأهلُ أهلي والبلادُ بلادِي
 سيعودُ يوماً هانئاً ومباركاً
 أضحي كما نهواه كالأورادِ

من القصائد والأناشيد القديمة التي كانت ضائعة

وقد كتبتها قبل عشرات السنين، (كالجنين، والوصية، وأوديب ثائرا، ونشيد كبرت أغانيها، وأغنية الحصار) ووصلني بعضها من "ليلي" إحدى المتابعات مشكورة، لذا يمكن أن تحمل بنية فنية مختلفة عن "التغريبة" بنكهة حماسية من تلك المرحلة التي لها خصوصيتها. وهناك قصيدتان جديدتان لهما ذات الطابع كونهما أقرب إلى الأناشيد المعدة للغناء. وهما (أنشودة ساحات السودان، والمجد للكنداكة) لذا وجب التنويه.

الجنين

وصرخت يومَ البيعِ لا

وصرخت يومَ الذبحِ لا

لكنَّهم كتبوا نَعَم

حتى إذا اكتُشِفَ الرِياءُ

وخرجتْ تبحثُ في ألمِّ

قالوا بأنَّ العيبَ يكْمُنُ في القلمِ

ناديت من جرح التلاشي
وانحساراتِ الأنينِ إلى الأنينِ
هل كرنفالُ الحزنِ مرصودٌ على هذا الجبينِ
كلُّ الطواويسِ التي مرّت بنا
غنّت لنا

من أغنياتِ الثائرينِ الصامدينِ اللاجئينِ
الزاحفينِ النازحينِ العائدينِ الوافدينِ
قلْ ما الذي يبقى من الألفاظِ منتهيا (باينِ)
لم يبقَ غيرُك يا جنينِ
نفدتْ مؤوناتُ الشعارِ

وذابَ حتى العظمُ من تحتِ السنمِ
إن كانَ هذا الجرحُ قيثارَ النشيدِ
فهل سوى النزفِ النغمُ
ما زلتَ تهتفُ ذلكَ الخطُّ المَحْنَطُ
قد أضاعَ اليومَ شطِّي

يا لجنة التحقيق صعبٌ أن يُغَطِّي
توقيعهُ المَجْبُولَ من لَحْمِي ونَفْطِي
هذا الذي تَلْقَوْنَ من خَضْبِي ولكنَّ لَيْسَ خَطِي
فالنسرُ مَخْضُوبُ الجِناحِ وفي زَمَانِ القَهْرِ
حتى بومةِ الشَّوْمِ الوَضِيعَةِ قد تُحَلِّقُ للقممِ
وأعيدَ صَكُّ البِيعِ للتوقيعِ واصطَفَتْ
كراسي المومِياةِ

بدأ المِزادُ على الهَرَمِ
نوديتَ كي تُدلي برَأْيِكِ أنتَ من شادَ الهَرَمِ
وعليكَ أن تَخْتارَ بَيْنَ اثْنينِ
إما لنا نَعَمْ تَقولُ... أو أن تَقولَ لنا نَعَمْ
حجْمُ الجَنِينِ يُخَيِّفُنَا
والقَوْلُ صِدْقُ
لا بَدَّ للَعُنقِ المِطاولِ أن يُدَقَّ
إن شئتَ نسلُحُهْ وثِقْ

النصلُ ماضٍ لن يُعذَّبَ روحُهُ
 سيمرُّ حدُّ السيفِ في العنقِ الرطيبِ كومضِ برقٍ
 أو شئتَ قطعناه كالحلوى
 مخافةً أن يضيقَ الرحمُ يكوى أو يُشق
 أنتَ الذي يختارُ
 ذبحاً أو حريقاً ساحقاً أو شئتَ خنقُ
 فاخترِ لطفلكَ ميتةً فالموتُ حقٌ
 وصرختَ لا
 وهتفتَ لا
 أنا لا أوافقُ
 ناشدتَ أكبادَ الشهودِ
 ألا تُصايقُ
 نادى خمفرعُ المنافقِ
 حسناً إذا أتريدُ لا
 نعمُ نعمٌ... أنا لا أوافقُ

وأريدُ لا

أتريد لا هل أنتَ واثقٌ

نعمُ نعمُ

ضحكُ المُحَقِّقِ حينَ سيِّدُهُ ابتسمُ

وبسرعةٍ أعطى خمفرعُ القلمُ

سجِّل إذنْ ها إِنَّهُ قالَ نعمُ

- الأرجح أنها كتبت أواخر عام 1978 تعقيبا على
اتفاقية كامب ديفيد بين بيغن والسادات برعاية
أمريكية

الوصية

أوصى حبيبكِ ذو يزن*
 من بعدُ ألا تنزفي
 ففقي على مرأى الزمن
 مُزناً وبالبرق اهتفي
 رعدَ النداء
 يا أنتِ يا أحلى رجاء
 قزحيةً بالوهج يجلوكِ الضياء
 قمحيةً كالمرج بيدركِ الوفاء
 رمحيةً في أوجِ برجِ الكبرياء
 فحبيبُ قلبكِ قد سَمَا
 مُتشيئاً في لثغِ ثغركِ والرؤى
 جَفْنَا، لُمى
 يهمي على التاريخ ينثرُ أنجماً

• ذو يزن – هو سيف بن ذي يزن من ملوك اليمن القدماء وله يعود الفضل في طرد الأحباش من اليمن. وكان الرئيس الراحل عبد الفتاح إسماعيل يوقع باسم مستعار هو – ذو يزن

أومى وما يوماً رمى
إلا زهوراً فوحها عطر النقاء
يأتي كما طبعُ الحصادِ مواسمِما
هُوَ كَلِّمًا ضَمَّدتِ عُصْنًا قُلِّمًا
صلى عليكِ وسلِّمًا
لا تنزفي
كُرمى لفارسِكِ الوفي
طفرتْ جياذُ النارِ تطبعُ بالسنايكِ أحرفا
لا تنزفي
يا طفلةَ الإبحارِ لمِّي الموجَ شالاً للوفا
وتموسقي بالعشيقِ أغنيةَ الصفا
هو ماءٌ بحركِ قد تبخَّرَ للسما
في الغيمِ يأتي ذو يزن
والغيمِ قطنٌ في السماء
يدنو لجرحكِ يا عدن.

كبرت أغانينا

كُبرتْ أغانينا

كنا نُغنيها

إيقاعِ دربِ مسيرِ

مذ سُمِّرَتْ في القاعِ

أقدامِ حادينا

وتعَنَّرَ الإيقاعِ

باتتْ تُغنينا

هدرتْ نداءَ نفيرِ

فلنجعلِ الخطواتِ

بتزامنِ النبضاتِ

فالدربِ صنو القلبِ

للخطو نحو الحبِ

إن لم يكن في الأرض

دربٌ تنادينَا

ستشققها الأقدام

في صخرٍ وادينَا

يا روعة الإقدام

سر - يا هلا - ... فينا

1976

أغنية الحصار

فلتزحفِ الحراشفُ

لن يرحلَ النهرُ

ولتمحَقِ الزواحفُ

القمحَ والزهرُ

لن يشرِدَ الغمامُ عن مواسِمِ المَطَرِ

لم يبقَ للنظرِ

ظلُّ سوى الحُقَرِ

قذائفُ قذائفُ

لم يبقَ في الشجرِ

غصنٌ ولا ثمَرُ

قذائفُ قذائفُ

ولم تزل دماؤنا منابعُ النهْرِ

لن يرحلَ النهْرُ

فليفهم الحِصارُ

لو هدَّ ألفَ دارِ

لو فنتَّ البيوتُ

حجراً على حجرِ

لن يسقطَ النهارُ

من كوةِ الخرابِ والدمارِ

سيصمُدُ البشرُ

1977

من القصائد القديمة المغناة

أوديب ثائراً- مشهد مسرحي بصياغة

شعرية غنائية

لُحنت وسجلت في حلب بأداء شباب وبنات من فرقة سبارتاكوس، وساهم في العزف الفنان مروان غريبة على الكمان، والأيوبي على الأورغ، وأحمد النجار على الفلوت، والغناء الفردي للفنان فهد يغن..

(شاشة في صدر المسرح لعرض الصور التعبيرية المرافقة حسب المحتوى-ويترك للمخرج تقدير الديكور على أن يكون ذا طابع رمزي-وكذلك تنسيق الحركات على المسرح بحيث تكون قريبة من الباليه، ولكن بسيطة حتى لا تغطي على مضامين الشعر المغنى بل تعمقها)

الجوقة

أوديبُ ليس الأسطورةُ
 أوديبُ يعيشُ بكلِّ زمانٍ
 يتوالدُ حيناً في مَصنعٍ
 يكبرُ كالشمسِ وقدرُ الشمسِ بأنْ تسطعُ
 ولهذا يخشاهُ الكُهَّانُ
 ومدينةُ طيبةُ
 قد نلقاها في عَمَّانِ
 في سانتياغو في طهران
 في مسقطُ أو في لبنانُ
 ها جاءتْ أفواجُ الكُهَّانِ

الكهان:

أوديبُ... أوديبُ... أوديبُ
 اللعنةُ حَلَّتْ يا أوديبُ
 منبوءٌ في كلِّ الأوطانِ

عَرَّافُ الْعَصْرِ اسْتَلَّ السِّرَّ تُمِيثُ أَبَاكَ
 وَتَدْيِيسُ أُمَّكَ أَيْنَ الْمَهْرَبُ يَا أُوْدَيْبُ
 افقاً عَيْنِيكَ

ارحَلْ ارحَلْ عن ماضيكَ
 ادْفُنْ أحزانَكَ في لبنان
 وافعَلْ ما تأمُرُهُ الكُهانُ

الجوقة:

قمرُ أُوْدَيْبُ الكوني
 كان حبيبَ الشمسِ
 فاخترَعَ الليلُ لَهُ الأسطورة
 فقاً عيونُهُ

أُوْدَيْبُ القمريُّ انخدَعَ بزيفِ الكلمة
 فقدَ الدربَ أضاعَ البسمةُ
 ولهذا أسرتهُ الظلمةُ

الجوقة:

قمرٌ أوديبُ الكوني

كان حبيبَ الشمسِ

فاخترعَ الليلُ له الأسطورة

فقاً عيوتهُ

أوديبُ القمريُّ انخدعَ بزيفِ الكلمةُ

فقدَ الدربَ أضاعَ البسمةُ

ولهذا أسرتهُ الظلمةُ

أوديب:

يا أمي يا أرضَ فلسطينُ

هل حقاً ما قالَ الكُهَّانُ

مرصوداً أبقى، منبوذاً أشقى

أم تلكَ تعاويدُ وشايةُ

كي تسقطَ من كفي الرايةُ

ما بالُ الجلاذِ يُغني

يحكي عني

يبكي عني

خَيْرَنِي بِشَوَاطِي الْمَوْتِ
 أَوْ أَنْشَرَ أَشْرَعَةَ الصَّمْتِ
 حَتَّى أَحْزَانِي يَا أُمِّي
 هَلْ يَسْرِقُ أَحْزَانِي مِنِّي
 يَا أُمِّي إِنَّ رَحَلْتُ قَدَمَائِي
 فَكَيْفَ أَنَا أَرْحَلُ عَنِّي

الجوقة:

أُودِيْبُ الْمَحْكِيُّ الْآنُ
 يَتَوَالِدُ مِنْ نَزْفِهِ
 يَتَحَدَّى أَقْدَارَ الْمَعْبُدِ
 وَيَجَاهِيهِ زَيْفَ الْأَسْطُورَةِ
 أُودِيْبُ النَّائِرُ يَتَجَدَّدُ
 وَتَحَاوَلُ رَاقِصَةُ الْمَعْبُدِ
 وَكَبِيرُ الْكُهَّانِ تَشَدَّدُ

دِنْسُ أَنْتَ جَلِبْتَ الشَّوْمَ أَلَنْ تَنْهَارُ
دِنْسُ أَنْتَ جَلِبْتَ الشَّوْمَ أَلَنْ تَنْهَارُ

أوديب:

كُهَانُ الْمَعْبَدِ لَنْ تَغْوِينِي
مَنْ يَقْتُلُ طِفْلِي لَنْ يُحْيِينِي
اللَّعْبَةُ كَشَفْتَهَا الْأَوْرَاقُ
فَالدَّرْبُ عَرُوسٌ يَا عُشَاقُ
سَرَقُوا مِنْ عَيْنَيْهَا الْكُحْلَا
عَرَسُوا فِي نَهْدَيْهَا نَصْلَا
جَرَحُوا فَمَهَا
بِاسْمِ الْعَشَقِ أَطَالُوا اللَّثْمَ
وَشَرِبُوا دَمَهَا
مَنْ يَمْنَحُهَا بِسْمَةَ طِفْلٍ
كَالرَّعْشَةِ فِي شَفْتَيْهِ
فَالْفَجْرُ خُصُوبَتُهُ الْقَهْرُ

والمجدُّ ندى كفيهُ

أوديبُ لن يفقأ يوماً يا كُهَّانا عينيةُ

سيسيرُ إلى حيِّ الفقراءِ

ويُشتلُّ أشجارَ الأحزانِ

يتشبثُ كالدرعِ الجذرُ

يتحوَّلُ في الجذعِ القهرُ

نبضاً أحمرُ

فكراً يزارُ

تتفرغُ بالنارِ الأغصانُ

أوديبُ المسحوقُ سيثأرُ

يا شجرَ الضوءِ أياديهم تمتدُّ الآنُ

لقطافِ الثمرِ المكنوزِ بدمِ الأحزانِ

انثرُ أحشاءك غطيهم جمَمَ البركانِ

يا شجرَ الضوءِ ... قد آنَ أوانُ

يا شجرَ الضوءِ ... قد آنَ أوانُ

(أوديب يتابع نجواه ويتنقل بهدوء على خشبة المسرح)

... في ذاكرة السحبِ رُعودي

هيا جودي هيا جودي

مطراً يا جرحاً يتبسّم

ماذا أخشى إنْ أخسرَ هل غيرَ قيودي

السوطَ وحمّاتِ الدّم

لحني آهي

شيرياني وترٌ مشدودٌ

في ثغرِ الحزنِ المرصودِ

هذا عودي هذا عودي

... الشمسُ ستطهو أحلامي

وستنضجُ نصراً أيامي

(الجوقة تستمر في ترداد "عبارتي درب الأحرار

درب الثوار" وتتقدم على إيقاع الكلمات بضع

خطوات باتجاه الجمهور):

درب الأحرار

درب الثوار

يا مسحوقين في كلِّ زمان

في كلِّ مكان

(أوديبي بعد أن أخفته الجوقة تماما لثوان ينبثق بقوة
من وسطها، ويتابع الإنشاد على خلفية أداء الجوقة
بشكل متزامن " يا مسحوقين في كل زمان ") :

أوديبيُّ الثائرُ صارَ حِصانُ

يعدو في الريح

والأفقُ جريحُ

خطَّ النزفُ الدامي عُرسي

فالشفقُ الأحمرُ إيدانُ ببزوغِ الشمسِ

أنت شمسي

يا مسحوقين في كلِّ زمان في كلِّ مكان

دربُ فلسطينِ سيمرُّ بجمجمةِ الكُهَّانِ

هيا شدوا حبلَ المرساة

ولتُبجِرْ نحوَ الشمسِ أباتُ

هيا شَدّوا هيا نشدو

والمجدُ لأشْرَعِ الإنسانِ

(العبارة الأخيرة تؤديها الجوقة مع أوديب الذي يرفع يديه
عاليا باتجاه الصالة رافعا شارة النصر وقد بات في مقدمة
المسرح تماما وخلفه الجوقة تشكل زاوية يكون هو رأسها
كرمز لرمح المقاومة)

أنشودة ساحات السودان

("تسقط بس" كان الهدف الرئيسي للجماهير
السودانية)

صيحاتُ الشعبِ المظلومِ
إعصاراً طافت في الخرطومِ
فتهادى الموجُ بأمرِ درمانِ
إيقاعُ الشارعِ سوفَ يدومُ
بنيالاً كسلاً بورسودان¹
وهتافُ غدٍ كهتافِ الأمسِ
تسقط تسقط تسقط بس

بعصاكِ تلوحُ يا جلاذُ

¹أسماء مدن سودانية

وتغورُ رصاصاتُ الأوغادُ
بصدورِ الدفلى والريحانُ
أوسمةً كبريقِ الأمجادُ
قسماً قسماً يا كيزانُ
رغمَ القهرِ ورغمَ الرَّمسِ
تسقطُ تسقطُ تسقطُ بس

يا ثلثَ القرنِ المشؤوم¹
الروحُ غدتْ عندَ الحُلقومِ
لن نخسرَ غيرَ سياطِ الذلِّ
الجوعَ السخرةَ عيشَ سمومِ
طعمَ العَلْقَمِ شربَ الخَلِّ
ووجودك كل سنينِ النحسِ
تسقطُ تسقطُ تسقطُ بس

¹كناية عن فترة حكم البشير

يَا مَنْ يَرْتَاخُ لِمَقْتَلِنَا بِاسْمِ الْقِيَوْمِ
 اللَّهُ بُرَاءٌ مِنْ غَدْرِ الْبَوْمِ
 مِنْ نَابِ الذَّنْبِ وَرَمَحِ الْحَقْدِ
 يَا مَنْ بَعَذَابٍ ظَلَّ يَسُومُ
 إِنَّ الظُّلْمَةَ إِذْ تَشْتَدُّ
 مِفْتَاحُ الْفَجْرِ بَوْسَطِ الْحَبْسِ
 تَسْقُطُ تَسْقُطُ تَسْقُطُ بِسِ

يَا كُلَّ جِهَائِدَةِ الدُّنْيَا الْحَقِّ أَقُولُ
 قَدْ يَسْحَقُ مَعْتَوُهُ الْإِفَاءُ رُعبَا
 أَمَا الطَّاعُوتُ وَمَهْمَا يَطُولُ
 لَنْ يَقْدَرَ أَنْ يَهْزِمَ شَعْبَا
 سَيُظَلُّ الصَّوْتُ يَدُقُّ طَبُولُ
 هَدَّارَا فَوْقَ جَبِينِ الشَّمْسِ
 تَسْقُطُ تَسْقُطُ تَسْقُطُ بِسِ

المجد للكنداكة

(تحية لنضال الشعب السوداني الذي آمل أن يقطف
أولى ثماره، ولكن الدرب ما زال طويلاً)

لا تتركي الساحات يا كنداكة¹ الطهر النقاء

إلا بتاج الكبرياء

مرحى لأحداق الزمن

فوق الجباه السمر خطت: لا ولن

لا ... للطغاة وللسياط وللرياء

قسماً ولن...

لن يرجع العشاق إلا بانتصارٍ أو كفنٍ

أرأيت يا تاريخُ قبلَ الآنَ خلقاً

فاضَ عن حضنِ المكانِ

وزاغَ عن فحِّ المِحْنِ

1- كنداكة لقب قديم جدا لمملكات السودان المحاربات ما زال له طابعه الرمزي، ويحكى أن إحدى الكنداكات قاومت غزو الاسكندر الأكبر ومنعته من دخول أراضي النوبة، وتظهر في بعض النقوش لا بسة الدروع مستعدة للقتال...

شعباً كأغنيةِ النقاءِ مسالماً

هزَمَ اللَّظَى وَالصَّوْلَجَانَ

هزَمَ الكَواسرَ والعَفْنَ

ونأى سُمُوّاً عن طواحينِ الفِتَنِ

أفدي رِوَالِكِ حبيبتِي قد كنتِ بينهمُ إِذْ

أحلى نداء

شالاً تبدى سابحاً وسَطَ الحشودِ

وجبيئِكَ الشماخُ لآخِ

حيناً بتلويحِ الزنودِ

حيناً هُتافاً كالرعودِ

أصغتُ له إِذْ السَّماءُ

محبوبتي كنداكةُ تسمو على حُسنِ المِلاخِ

كسرتُ عصا الرقاصِ فانهدمتُ قصورُ

دَقَّتْ على صدرِ القبورِ

لنقولَ للشهداءِ ناموا الآنَ إِنَّ الظلمَ راح

لكن حذار من المُخبأ في الصدور
 بعض الكلابِ تعضُ إذ تُخفي النباح
 لا تتركي الساحاتِ يا كنداكةَ الحلمِ الجسورُ
 إلا بتكسيرِ الرماحِ
 واستشرفي المستقبلَ الآتي بأحداقِ النسورِ
 وامضي كحلمٍ رائعٍ بينَ الجموعِ بلا وهنٍ
 غني لفجرِ الحُبِّ كي يصحو الصباخِ
 ليبشرَ السودانَ صدّاحاً بنورِ
 وتحوّلي كالطُهرِ دمعةَ فرحةٍ وسَطَ العيونِ
 قد آن أن نمحو طواغيتَ الزمَنِ
 فالشعبُ أقسمَ لا سُبّاتَ ولا وَسَنَ
 إلا بتحريرِ الوطنِ
 من سطوةِ الدعمِ الشنيعِ
 من طعنةِ الغدرِ السريعِ
 إلا بتحريرِ الوطنِ

للحب حضوره أيضا وإن كان متواضعا في هذه المجموعة،
لكنه جامع كما يبدو

أزیز النار فی القصب

لم يبقَ في الجسم غيرُ نداءٍ مُرتقبِ
ألا يوارى برمسِ الهدءِ والتُّربِ
إن جفَّ جذعي هَما يخضورُ داليتي
سكرانَ ينضحُ طعمَ الطيبِ العنبِ
زوري كزوبعةٍ ساحاتِ مملكتي
واستمطري فرحَ اليخضورِ في الخشبِ
هذا اللهبُ الذي يجتاحُ أوردتي
يندى فيُنْعِشُنِي مهراً كجسمِ صَبِي
إن مسَّ نهدكِ ثغري لاكتوتِ شفّتي
مثلَ اكتمالِ أزیزِ النارِ في القصبِ
هذي الشراراتُ مثلِ النحلِ تلسعُني
من فورةِ الشهدِ صمغُ النَّسغِ في العصبِ

كم يشتهي اللهبُ العاتي لِحَا غُصِنِ
 حتى يُعري بياضَ الأسرِ الرَطِبِ
 تغزو الصهاراتُ مهذا حاضنا بَدني
 معجونةُ العشقِ في تكوينه الدَعِبِ
 ما أطيّبَ الحرقَ حينَ النارُ تمرُّجني
 سكباً حميمَ مذاقِ الجمرِ كالرُطِبِ
 الوقتُ نبضٌ دفوقُ خارجِ الزمنِ
 يعلو ويخفتُ مثلَ الطائرِ التَعِبِ
 تندى المساماتُ برقاً منكِ يرشُقني
 كالوهجِ يُبهجُ بينَ الطورِ والنَّقبِ
 مجدُّ النصارِ سيعلو حينَ يسألني
 هل تشبهُ النارُ لونَ تَألَّقِ الذهبِ
 يا منيةَ الخَصرِ مِن لَدنِ وَمِن مَرنِ
 ميسي على مَضَجِ الأحلامِ وانسكبي
 كحلُ الرؤى فُزَحْ للونِ يسرُفني

من وادع بين شطِّ الجفنِ والهُدْبِ
 إن ساورتكِ ظنونُ الشاكِّ فامتحنِي
 فُكِّي إزارَ أتونِ الوصلِ واقتربي
 هل خلتِ أنِّي ملائِكُ وسَطِ صومعتي
 أصحو بأوراقِي أغفو على كُتبي
 إنِّي إذا استوطنتُ تنهيدةً رنتي
 لأنساحَ رعشِ صدى الموالِ من طربي
 هذا الشرارُ شهِيُّ البوحِ قافيتي
 من ذا يترجمُ نطقاً ألسنَ اللهبِ
 شدوي القصيدُ وعنقاءُ الهوى لُغتي
 أستلهمُ الومضَ مثلَ البرقِ في السُحْبِ
 تيهي على جسدي بالنارِ سيدتي
 إنَّ الحرائقَ شعرُ اليابسِ الحَطْبِ

البوح الصامت

خبأتُ سرّاً تألّقي في خافقي
 يومَ التقينا عندَ شطِّ المُطلقِ
 كان اكتنازُ شفاهِها كرزِ الرؤى
 والإثمُ كلُّ الإثمِ إنْ لم يُسرَقِ
 ما غادرتُ فكري وإنْ غادرتُها
 ظلّتْ كطيفٍ قادمٍ في المُسبقِ
 كالشمسِ عندَ غروبِها خلفَ المَدَى
 تُهدي السنا مهْدَ انبلاجِ المَشْرِقِ
 خبأتُ سرّاً تألّقي في خافقي
 يومَ التقينا عندَ شطِّ المُطلقِ
 فضحَ ارتعاشُ الكفِّ إذ صافحتُها

مخبوءَ قلبي مثلَ فوحِ الزنبقِ
 حلَّقتُ مُدُّ وَسَدَّتْ رَأْسِي قَرَبَهَا
 قلتُ ارقدِي قَرِبي حَنِيناً حَلَّقِي
 أحننتُ كَمَوَسَقَةٍ مَلاسَةٍ جَيدِها
 فوَقَ الذراعِ ورأسُها في المِرْفَقِ
 وتناعَسَ الجفنانِ طيفَ فراشَةٍ
 وتلاحَقَ التَنهيدُ سَكَبَ مُعَتَّقِ
 فرشفتُ خمرأً باحَ عن فِرْدوسِهِ
 وعضَّضتُ رِفقاَ طَيبَ طَعِمِ الفُستَقِ
 فتَحَتُ كَمِلاَدِ الرَحيقِ جفونَها
 وتلاصَقَ الغَيمُ الحنونُ ببارِقِ
 فتَلاقَتِ العَينانِ وشكَّ هَنيهةِ
 بِسامَةٍ تُرضي جِياَدَ الخافِقِ
 باحتُ وجيفاً نَظرةً ثرثارةً
 تحكي الهوى وشِفاهُنا لَم تَنطُقِ

(من الذاكرة بعد أن ضاع الأصل مع إدخال تعديلات
على القصيدة اعتماداً على ترجمتها المنشورة باللغة
الروسية)

صنّج من نحاس

قَبَّلْتَنِي فِي فَمِي عِنْدَ الصَّبَاحِ

أَمْ تَرَأَى لِي خِيَالٌ خُفِّ

هَفْهَافِ الْوَشَاخِ

ثم قالت بخفوتٍ وادع أضحي هديلاً:

أَنْ أَنْ أَمْضِي... وَدَاعاً

دُونَ أَنْ أُدْرِي لِمَلْقَاهَا سَبِيلاً

كنتُ كالسكرانٍ بالتحنانِ أجباني التصاقٌ وانحباسٌ

كجناحي نحلةٍ قد شدّها

في مائعِ الشهدِ انغماسٌ

وسمعتُ البابَ يُغَلِّقُ

كصدى وقع الجارة
 صخرة شددت على الكهف حصاره
 من تجاوزيف المغارة
 بعثرت كالشهب من عيني فراشات النعاس
 هائمات كرداذ من فقاعات بكاس
 وعلى جفني للنور انعكاس
 كارتداد الضوء من أحجار ماس
 أرتجي ظلاً لطيفاً لا يبين
 أفتح الجفنين أبحث عن شفاه عن يدين
 فإذا الدنيا فراغ
 وإذا الشمس على الشباك صنع من نحاس
 ماج كالدوامة الكبرى استدارت مثل هالات السبات
 رج حتى لفني عبر الطنين
 دوائر دوائر
 وافترقنا وكلانا لم يزل فرعاً بجذع الذكريات

ونمُدُّ الجِسمَ فوقَ الرِّيحِ نرنو نحوَ شَطِّ الأُمْنِيَّاتِ
 غيرَ أَنَا كَلَّمَا از دَدْنَا انشِدَادَا
 نحوَهُ از دَدْنَا ابتعادَا
 قد مَضَى عَامٌ عَلَيْنَا رَبِّمَا أَوْ بَعْضُ عَامٍ
 وَأَنَا أَبْحَثُ عَنْهَا دُونَ عَنوَانٍ وَأَدْنُو لِلزَّحَامِ
 بَثُّ حَتَّى وَسَطَ هَدْيِ الحَلْمِ أَكْمُنُ فِي الزَّوَايَا
 وَالمَرَاتِ الطَّوِيلَةِ وَالظَّلَامِ
 وَهِيَ تَبْدُو وَتَلُوخُ
 يَخْفَقُ القَلْبُ وَأَدْنُو فَتَرُوخُ
 تَتَرَاءَى وَتَغِيْبُ
 وَأَنَا مِنْ رَدْهَةِ الشَّبَاكِ مَلْهُوفٌ كَمَا عَيْنُ الرَّقِيبِ
 مَتَعِبٌ حَتَّى انطْفَاءَاتِ الوَجِيبِ
 حِينَ تَدْنُو ثَمَّ تَنَائِي
 نَصْفَ وَهَمِّ نَصْفَ مَرَأَى
 وَأَمْدُ الكَفِّ كَالْمَفْجُوعِ مَنْفِيِّ الحَوَاسِنِ

يتهادى ضارِعاً نحوَ التماسِ

ثمَّ كالطِّفْلِ يتوهَّ

في زحامِ ضجِّ من خلقٍ وناسِ

هادئاً ينسأخُ صوتٌ وادِعٌ أضحى هَدَيْلاً:

أَنَ أَنْ أَمْضِي وداعاً

دونَ أَنْ أدري لِمَلقَها سبيلاً

عندَها أصحو وكفِّي تتراخى رايةً محضَ انتكاسِ

وعلى جفني للنور انعكاسُ

كارتدادِ الضوءِ من أحجارِ ماسِ

أفتح الجفنين أبحثُ عن شفاهِ عن يَدَيْنِ

فإذا الدنيا طنينُ

وهلامٌ وفراعٌ ويَباسِ

وإذا الشمسُ على الشبَّاكِ صنجٌ مِنْ نُحاسِ

كان حبك من ورق

أهوى اكتمال الغوص في بحر الألق
 كالشهوة الكبرى بخاتمة الرمق
 أوقفتُ شمسَ لقائنا عند المغيب
 وقبل ميلاد الغسق
 مُتوهِّجاً بالعشق استجدي الشفاء الواجفة
 في الروح لا تبقى تباريح الخدوش
 يبقى المَعَمَّدُ بالدماء
 قيثاراً أوتارها سكبُ النقوش
 مثل الأخاديد التي حُفرت بظهر فريسة
 من بعد أن غرست مخالبتها الوحوش
 تزهو بأمجاد الجراح الراحفة
 هُبِّي إلى الإعصار وارميها جبال الأرصفة
 لا حبَّ في الميناء لا قبني بعمق العاصفة

لم تفهمي سرَّ الطقوسِ طلاسَمَ الرؤيا
 وميلادَ الحقائقِ في العبقُّ
 إني غريقٌ مدنفٌ حتى تماهى
 اللونِ في شالِ الشفقِ
 لكِنَّكَ التردادُ في ثغرِ الصدى
 لستِ ارتعاشَ الصوتِ يوغلُ في المدى
 ما زلتِ عندَ الشطِّ تخشينَ الغرقِ
 هذا انفصامٌ في النداءِ
 ما من زمانٍ في اقتحامِ الانتهاءِ
 ما من أمامٍ في الهوى ما من وراءِ
 لا وقتَ بينَ دقيقتينِ
 أو بينَ قرنينِ سواءِ
 بل ليسَ من وقتٍ تأخرَ ليسَ من وقتٍ سبقُ
 فالأفقُ مهما سرتِ نحو لقاءهِ لن يُخترقُ
 ما عدتُ أرضى البينَ بينُ

لَوْنِ التَّوَسُّلِ فِي الرَّجَاءِ

يَا أَيُّهَا الطَّيْفُ اكْتَمَلْ

أَوْ فَارْتَحِلْ كَالْبَرْقِ عَنِ لَيْلِ الشَّجُونِ

لَمْ تَأْسِرِي قَلْبِي حَنِيناً فَاعْتِقِينِي

إِنِّي لِأَوْمَنْ إِنَّ أَنْصَافَ التَّعْقَلِ

مِثْلَ أَنْصَافِ الْجُنُونِ

دَرْبَانَ عِنْدَ الْمَفْتَرِقِ

الْحُبُّبِيُّ الْمَسْتَبَاحُ بِلَا أَرْقِ

وَاللُّوْلُبِيُّ الْمَسْتَحِيلُ بِلَا أَنْيْنِ

حَيْثُ الْوَصُولُ هُوَ ارْتَوَاءُ الْمُنْطَلِقِ

مَا سَوْفَ يَأْتِي قَدْ سَبَقَ

مَا زِلْتِ تَحْتَرِقِينَ فِي الْآتِي لِمَاذَا تَسْرَعِينَ

كُفِّي عَنِ اللَّحَنِ الْحَزِينِ

أَدْرَكْتُ قَبْلَ أَنْ أَحْتَرِقَ

أَنْ كَانَ حُبُّكَ مِنْ وَرَقِ

مقطوعة مداعبة

ما بالُ هذي الأقمِشَةُ
 لطباعِها تبدو الأماكنُ مُدهِشَةُ
 فَوْضِيعُها يُرْمى لَكي دوما يُداسُ
 خِرَقا على العَتَباتِ تبقى قابِعَةُ
 وعزيرُها يعلو جبينَ الراسِ
 كَحُنُوِّ شالٍ أو تفاخرِ قُبَعَةُ
 لكنَّ ناعِمَها الحريرِ يشمُّ ما قد ضمَّ
 حتى يُنعِشَهُ
 ويهيمُ عِشْقاً في صلاةٍ تُرْعِشُهُ
 لِمسامِ عطرٍ مدهِشَةِ
 يحنو على محرابِها وَيَظِلُّ يَلْتَمُّ مَعْبَدَهُ
 فتَحارُ كُفُوكَ هل تُغَيِّرُ فتُبَعِدَهُ؟

عمّا يلف من الجمالِ تكوّراً قد أجهده
 يا أيّها الكفّ الجسورُ توسّلت
 أقفاصُ سجنٍ موصدة
 حرّرتُ طيورَ الأفئدة
 أو ما سمعتَ هديها مثلَ الصدى:
 آهاً فآه
 إنّي فداه
 سلّمتُ يده
 من فكِّ أسرِ المنهدة

كيف أهرب من دمي

مَن مُبْلَغٌ عَنِّي الحَبِيبَ بِأَنِّي
 جَدَلْتُ آهِي مِنْ سَعِيرٍ مُتَيَّمٍ
 إِنْ زَارَ طَيْفُكَ ظُلْمَتِي لِأَضَاءِهَا
 أَوْ غَابَ أَكْبُو فِي ضِيَاءِ مُعْتَمٍ
 نَبَلْتُ بَعِينِيهَا لِتُرْدِي عَاشِقًا
 فَأَجَابَهَا سَلَمَتٌ لِحَاطُ الْمُجْرِمِ
 شَفَةٌ يَضُوعُ الْفَجْرُ حَسَنَ بَرِيقِهَا
 فَاقْتِ طَرَاوُثَهَا نَعُومَةَ بُرْعُمٍ
 وَجَهٌ يَطُوفُ السَّحْرُ حَوْلَ بَهَائِهِ
 لِكَأَنَّهُ زَحْلٌ بِهَالَةٍ مُلْهِمٍ
 حَاولت نأياً كالمدى لكنها
 باتت كنبضي كيف أهرب من دمي
 مَن مُبْلَغٌ عَنِّي الحَبِيبَ بِأَنِّي
 سَيَذُوقُ إِنْ ذَكَرَ اسْمَهُ شَهْدًا فَمِي

الفهرست

17	تغريبة أهل الشام
51	المجد للذين
59	غليون الزمن
62	الحزام الناسف
65	حوارية الدم والعطر
69	زغرودتان للدم
71	عش في عيوني
76	أفرد جناحك
79	الفجر عين
81	كلُّ المنى أن أكونك
83	انهض
90	سلاماً مظفراً
93	أغلق الباب وراعك
95	تحية لذكرى البطل شكري بلعيد"
97	اقطع
99	الروح فداؤك يا سقّلب
102	يا من
107	الوطن والمنفى
111	يا ليتني مزنةً
112	الأضحى
115	الجنين
120	الوصية

- كبرت أغانينا 122
- أغنية الحصار 124
- أوديب ثائراً- مشهد مسرحي بصياغة شعرية غنائية 126
- أنشودة ساحات السودان 136
- المجد للكنداكة 139
- أزيز النار في القَصَبِ 142
- البوح الصامت 145
- صنّج من نحاس 147
- كان حبك من ورق 151
- مقطوعة مداعبة 154
- كيف أهرب من دمي 156

مؤلفات الشاعر

1. خواطر من الشرق - شعر- دمشق 1971 إصدار خاص
2. صندوق الدنيا - شعر- دمشق 1972. وزارة الثقافة
3. بطاقات تبرير للحب الضائع- شعر- دمشق 1974. اتحاد الكتاب العرب
4. طلقات شعرية- شعر - حلب 1979. دار الفجر
5. الحب في طريق المجرة- شعر- حلب 1979. دار الفجر
6. الصدى 1978 دار ميسلون دار الفجر
7. الحلم في الزنزانة رقم سبعة
8. انتخار الدلفين
9. الثلاثيات
10. الحزن الألق وصلاة العاشق
11. عصفور محكومٌ بالإعدام
12. المجد للصمود
13. أنطولوجيا الشعر السوفييتي - المجلد الأول الشعر الروسي
14. مسرحية الأرنب الذئبي
15. مسرحية رجل الثلج (Снежный Человек) باللغة الروسية
16. مسرحية رجل الثلج بالروسية
17. مسرحية الملك والشاعر
18. مسرحية محاكمة المواطن (س)
19. مسرحية رسائل عشق

20. صوت الحياة بالروسية (Голос Жизни) دار البرافدا
21. القمر المغرور بالروسية (الشمس والقمر والعتمة). دار أدب الأطفال موسكو
22. القمر المغرور بالعربية وزارة الثقافة
23. الأخوة والأخوات (ترجمة) دار رادوغا
24. دراسات في تاريخ الثقافة العربية في القرون الوسطى (ترجمة) دار رادوغا
25. سلاما مواعيد قلبي دمشق وزارة الثقافة
26. من روائع القصص الروسية وزارة الثقافة
27. معزوفات العذاب الشهوي مجموعة قصصية- دار الينابيع
28. القمر المغرور بالروسية والعربية في طبعة مشتركة
29. تغريبة أهل الشام – دار جهات 2022

